روايات عبير الجديدة

آن ماثر

رقصة العقرب

www.elromancia.com

مرمورية

عدد ممتاز

رقصة العقرب

آن ماثر

لم تتزوج ميرندا جيم نيفيت بسبب الحب، في الواقع هي لا تكاد تعرفه وهي لم تعجب أبداً بالقليل الذي تعرفه عنه. لكن والدتها كانت بحاجة للمساعدة وهذه كانت الطريقة الوحيدة التي كانت ميرندا قادرة عليها. في الواقع لم يكن هذا الزواج أبداً زواجاً حقيقياً وقد افترقا الإثنان فوراً بعد حفلة الزفاف.

كل هذا كان قد حصل قبل أربع سنوات، لكن الآن ميرندا كانت تفكر بالزواج من بول كورتين وهكذا فقد أتت إلى البرازيل، لتلاقي جيم ثانية لتطلب منه إبطال زواجهما، لكن جيم كان لا يزال رجلاً عليها مقاومته. فحتى ولو وافق على إنهاء زواجهما هل تستطيع ميرندا أن تكون واثقة تماماً الآن إن هذا ما كانت تريده حقاً؟.

- ١ -

كان بإمكان ميرندا التذكر بكل سهولة المرة الأولى التي قابلت بها جيم نيفيت. كان اللقاء الأول في عيد ميلادها العاشر وكاحتفال خاص وافقت السيدة ساندرز على إجراء الحفلة في الحديقة. تستطيع ميرندا أن تتذكر الإثارة الكبيرة التي شعرت بها في انتظارها لعيد الميلاد هذا فحتى ذلك اليوم حفلات أعياد ميلادها السابقة كانت لا تختلف كثيراً عن أي يوم عادي باستثناء نزهة إلى مدينة الملاهي بعد الغداء.

لكن حتى هذا كان أمراً غير عادياً نظراً للظروف المحيطة بهم. فبعد كل شيء أطفال مدبرات المنزل يجب أن يُروا ولا يُسمعوا أو هذا ما كانت تعتقده هي ولم يحاول أحد أن ينكر أن السيدة ساندرز كانت لطيفة جداً مع والدتها حين توفي والدها فجأة، تاركاً زوجته بصحبة طفلة في الثالثة من عمرها بدون أي وسيلة للعيش.

فوالد ميرندا كان مزارعاً وكوخهما كان متعلقاً بالعمل ومن الطبيعي أنه بعد وفاته سيعود الكوخ إلى من سيحل مكانه، وكانت والدتها شبه يائسة حين عرضت عليها السيدة ساندرز التي تملك المقاطعة

والأرض، أن تجيء وتسكن معها في الهول، فمدبرة المنزل خاصتها كانت متقدمة بالسن وبحاجة لمن يساعدها في إتمام واجباتها وأعمالها.

بأخذها للوسي غراهام وإيوائها مع طفلتها اليتيمة، ضمنت السيدة ساندرز لنفسها المساعدة الأكيدة لعدد طويل من السنوات. ولكن فقط كلما تقدمت ميرندا في العمر كلما كانت تصبح ساخرة. ففي عمر العاشرة كانت لا تزال صغيرة لتعتبر اللطف بمكانه المناسب ووجهه الحقيقي وفي الثالثة كانت بدون أي رأي حول كل الموضوع.

السيدة ساندرز كانت أرملة، زوجها كان قد قتل في حادث سير بعد سنة من ولادة ميرندا.

بعد وفاته استلمت السيدة ساندرز أمر إدارة المقاطعة بنجاح واضح أظهر بأنها كانت تفعل هذا في الخفاء منذ سنوات طويلة. كان عندها أبناً واحداً، اللورد ساندرز الجديد، وقررت أن ميراثه لن يتأثر أبداً بموت والده.

ميرندا رأت مارك ساندرز قليلاً جداً خلال سنوات عمرها الأولى، فالمدرسة الخاصة ومن ثم التعليم في الخارج اهتما بأمر ثقافته وتعليمه وخلال العطل كانت تحرص والدته على ألا تدعه يغيب عن ناظرها، والدتها لوسي شرحت لها أن السيدة ساندرز تعبد أبنها، والآن بعد وفاة زوجها لم يعد لها أي شخص سواه، بدا هذا وجوداً منفرداً لميرندا فبالرغم من الصرامة والنظام المفروض عليها في البيت إلا أنها كانت تملك حياة اجتماعية ممتازة في الخارج. فقد كان لها العديد من الاصدقاء وكانت تشعر بالإشفاق على الشاب ذا الوجه الباهت الذي كانت تلمحه احياناً يلعب وحيداً في الحديقة. قبل اسبوع من عيد ميلاد ميرندا العاشر أقامت الليدي ساندرز حفلة

عشاء. كان هذا في بداية تموز وقد عملت السيدة غراهام والدة ميرندا بجهد لتجهيز قاعة الاحتفال لضيوف الليدي الذي سيقضون الليل في المنزل ويغادرون في الصباح.

كان هناك عملاً كبيراً من التنظيف والترتيب والتجهيز وحتى أنهم استخدموا ميرندا لذهاب والمجيء لإحضار بعض الحاجيات المنزلية.

الوليمة لوحدها احتاجت لساعات من التحضير. بأنواع الأطعمة المختلفة المتنوعة، الشراب ايضاً أختير بعناية ودقة وقد ابتهجت ميرندا بمنظر المائدة البهي والأواني الفضية وكؤوس الكريستال تلمع تحت ضوء العشرات من الشموع المضيئة.

حفلة العشاء كانت ناجحة تماماً وللتعبير عن إمتنانها لجهد السيدة غراهام اقترحت الليدي ساندرز الاحتفال بعيد ميلاد ميرندا القادم بإقامة حفلة لها في الحديقة وبالفعل ساعدت والدتها صباح ذلك اليوم بتحضير الطاولة ووضع الحلوى والساندويشات والكريم وقالب كاتو مرسوم عليه إسمها وعبارة عيد ميلاد سعيد، وكانت غبطتها لا توصف برؤيتها للطاولة بعد الأنتهاء من ترتيبها.

كانت المدعوات سبع فتيات صغار حضروا في موعدهم وجلست ميرندا على الكرسي الرئيسي حول الطاولة وادارت هي دفة الحفلة، وفتحت الهدايا بأصابع مرتجفة وكانت الهدايا عبارة عن كتب وألعاب. وجوديث لين صديقتها العزيزة أبنة أحد المدرسين أحضرت لها إسوارة ملونة ارتدتها ميرندا فوراً.

تتابعت الحفلة بالضحك واللعب إلى حين جلوسهم حول الطاولة للبدء بتناول الحلوى وعندها، عندها فقط حصل ما لم يكن بالحسبان فقد رأوا نقاطاً من الماء تنهمر من السماء فوقهم.

نظرت ميرندا إلى السماء فوجدتها صافية وزرقاء إلا من بعض الغيوم القليلة فإذن من غير المعقول أنها تمطر، أعادت الألتفات إلى أصحابها حين تساقطت بضع نقاط أخرى، انزعجت ميرندا والتفتت نحو المطبخ لتنظر إلى والدتها التي كانت بالداخل والتي لا بد ستأتي لتساعدها حين ترى أن المطر ينهمر، لحظات وانهطلت نقاط المياه بشدة كرذاذ قوي وتساقطت على قالب الحلوى ماسحة العبارة الملونة ومبللة كل شيء، انشغلت الفتيات الصغيرات بالابتعاد عن الطاولة وتمسيد ملابسهم وشعرهم. وحدها ميرندا ركزت بصرها الحاد نحو مصدر المياه واكتشفت أنها تنطلق من وراء السور، اندفعت بسرعة نحو السور وتسلقته إلى أكمة من الأعشاب، فتحت طريقاً لها عبر النباتات العالية ووجدت ما أدهشها. فهناك كانت ماسورة المياه والرشاش المائي الذي كان يستعمله الجنائني لري الحديقة في أيام الجفاف. لكن السيد رام الجنائني كان قد وضع الرشاش هذا في غرفة المخزن ومن الواضح أن أحداً ما قد جلبه وقام بهذا العمل الشرير ليفسد فرحتها وأصدقائها، وهذا الأحد كان نحيلاً وقد رأته يختفي خلف أحد الزوايا.

أرادت أن تسرع وراءه لتكتشف من هو لكن أصوات رفيقاتها ووالدتها التي حضرت بسبب الجلبة كانت تدعوها للعودة فطأطأت رأسها وعادت على مضض وفستانها المزهر الجديد ا لذي خاطته لها والدتها خصيصاً للحفلة قد اتسخ وكذلك إسورة جوديت قد اختفت من يدها وتبلل شعرها الناعم المنسدل على كتفها.

التقطتها نظرة والدتها المتسائلة القلقة فور وصولها إلى الحديقة وحين طلبت منها شرح ما جرى اندفعت الفتيات بأصوات متداخلة يشرحن لها الوضع لكن السيدة غراهام انتظرت حتى تسمع قصة

ميرندا، أخبرتها ميرندا ما حصل متوقعة أن تلومها والدتها لها أو أن تعنفها لاعتقادها أنها هي السبب بعمل ما خاطىء قامت به ولكن لدهشتها ظهر الغضب على وجه والدتها الذي تلون بالاحمر أولاً ثم اصبح ابيضاً قبل أن تستدير وتعود إلى المنزل.

أخذت الفتيات جميعاً يواسون ميرندا ويطيبون من خاطرها وبنظرة واحدة إلى الطاولة أحست ميرندا بقلبها يُعتصر فكل شيء اصبح مبللاً وفاسداً ما عدا فقط وعاء الهلام الذي رد المياه بسبب هلاميته.

كانت ميرندا لا تزال واقفة مكانها محاطة بصديقاتها حين عادت السيدة غراهام التي لم تكن بمفردها، فمعها كانت الليدي ساندرز وصبي في الخامسة أو السادسة عشر من العمر. كان طويل القامة نحيفاً، بوجه رقيق الملامح وشعر أسود فاحم لم يسبق لميرندا أن رأت هكذا شعر داكن من قبل. كانت المتعة الخبيثة لا تزال تلمع داخل عينيه السوداوين ورموشه الكثيفة لكن وجهه كان يظهر تعبيراً مطيعاً هادىء. اشتعل الغضب في ميرندا فهذا هو الصبي الذي كان يختفي خلف الزاوية بعد أن قام بفعلته الخبيثة.

وتمنت ان يكون متطفلاً ومتسلسلاً حتى تتمكن الليدي ساندرز من إلقاء القبض عليه.

«كما ترين يا سيدتي، لقد اتلفت المائدة تماماً» كانت والدتها تقول فيما كانا يقتربان منهم برفقة الصبي وهزت الليدي ساندرز رأسها وتمتمت بكلمات الأسف.

ثم اتجهوا بعد هذا إلى حيث كانت ميرندا مع صديقاتها. تذكرت ميرندا أنه كان عليها غسل وجهها ويديها وتمشيط شعرها قبل مجيء الليدي ساندرز لكن بمظهرها هذا كانت تبدو بين صديقاتها كالببغاء بين مجموعة من اليمام.

ليدي ساندرز رأتها وتبادلت نظرة مع الصبي إلى جانبها وثم كمهزلة المهازل، بدأت بالضحك، وحين فعل، ضحك الصبي وضحكت رفيقاتها، وحدها والدتها لم تضحك وهذا أراح ميرندا قليلاً، وبشهقة إذلال وحرقة اندفعت من بينهم ودموعها تجري على خديها ولم تتوقف إلا حين اصبحت داخل المنزل وحدها. هي لن تسامحهم أبداً، لن تسامح اصدقائها، ولن تسامح الليدي ساندرز وبالخصوص لن تسامح ذلك الوحش ذا الشعر الفاحم الذي أفسد الحفلة الوحيدة التي حظيت بها في حياتها...

طبعاً تغلبت لاحقاً على هذا وحتى أنها كانت تضحك احياناً حين تتذكر ما جرى ولكن ليس بوجود الليدي ساندرز طبعاً. ذلك اليوم كان نقطة تحول في حياتها، من يومها بدأت تدرك الفروقات الكبيرة بين الأشخاص من عالم الليدي ساندرز وبين أشخاص عالمها.

فقد عرفت أن الصبي كان من الأقرباء البعيدين لزوج الليدي ساندرز الراحل، ابن عمه، باتريك نيفيت، الذي يملك مقاطعة في البرازيل والذي كان قد تسبب بفضيحة للعائلة عام ١٩٤٧ بزواجه من فتاة هندية من البرتغال لأنها كانت تنتظر ولادة طفله، وقد نشأ الصبي في جنوب أميركا والذي يفسر لون بشرته الداكنة وكان يقيم مع الليدي ساندرز في أثناء انتهاء والده من ترتيبات إدخاله لإكمال تعليمه في انكلترا.

خلال السنوات اللاحقة كانت ميرندا تراه عادة، فبما أن منزله كان بعيداً جداً فهو كان يقضي عطلة الميلاد مع الليدي ساندرز. وفي اللحظات القليلة التي كانت تبوح بها لمدبرة منزلها بأمورها الخاصة أخبرت الليدي ساندرز السيدة غراهام أنه كان رفقة جيدة لمارك الذي يصغره بثلاث سنوات والذي كان مولعاً جداً بابن عمه.

ونجحت ميرندا نفسها في امتحان القواعد ا لمشروط للدخول إلى مدرسة البلدة الخاصة ولكن حين بلغت السادسة عشر تركت المدرسة مع ثمانية علامات راسبة والتي سببت خيبة الأمل لمدير المدرسة الذي كان يتوقع الكثير من النجاح لها. على كل حال اكمال التعليم بمعاش مدبرة المنزل البسيط كان أمراً غير معقولاً ولهذا فقد استلمت وظيفة في مكتبة البلدة العامة واستقرت بهذا بفرح وسعادة. فهي كانت تحب الكتب والقراءة جيداً وهكذا كان بإمكانها قراءة كل الكتب التي تصدر حديثاً.

كان لها الأصدقاء من الصبيان قبل أن تترك المدرسة وتابعت الخروج مع العديد منهم دون التركيز على واحد معين فقط. لقد شاهدت كثيراً من المعاناة التي تكبدتها والدتها لتنشأها وتربيها ولهذا فعقليتها كانت مختلفة وقد اشتهرت بأنها جامدة وغير رحومة. وهذا لم يكن صحيحاً تماماً، فهي فقط أرادت نيل كفايتها من الحياة دون التطلع أو الإقتناع بأن تكون زوجة وأم للعديد من الأطفال الذين لن تتمكن من إعالتهم ثم حين بلغت الثامنة عشرة دعيت للحفلة السنوية للصيد.

كانت تخرج في ذلك الوقت مع مزارع شاب، دنيس مروغان، والذي يملك والده بعض قطع الأرض خارج حدود القرية، وبما أن هذه الأراضي كانت تستعمل من قبل الليدي فقد دعي هو للحفلة ودعاها بالتالي لمرافقته.

في البداية ترددت لعلمها أن الليدي ساندرز ستكون هناك لكن لدهشتها والدتها اتخذت موقفاً.

«ولمَ لا تذهبين؟» سألتها «لقد تمت دعوتك، ولا أرى أي علاقة لهذا بسيادة الليدي».

لكن ميرندا لاحظت أن والدتها لم تخبر ربة عملها عن حضور ابنتها للحفلة ولا أحد كان اكثر دهشة من الليدي ساندرز حين وجدت ابنة مدبرة منزلها ترقص مع أحد ابناء المالكين المحليين.

ميرندا كانت تتمتع بوقتها، رادئها كان جديداً وكانت مدركة إنه كان بناسبها جداً، الفترة الطويلة بين تلك الحفلة الكارثة وهذه قد غيرت الكثير منها بشعرها لم يعد احمراً كثيراً بل اصبح كستنائياً فاتحاً تتخلله خصلات ذهبية، وكانت قد قصته بتسريحة تناسب كثيراً سماكته ونعومته المسترسلة، وجهها الجميل التقاطيع كان رائعاً بعينيها الخضراوين الواسعتين، كانت طويلة القوام ايضاً، لكن ليست نحيلة وصدرها الجميل يظهر بوضوح من خلال الياقة الديكولتيه للرداء الأخضر الجديد. الذي كان بنفس لون عينيها تقريباً والذي كان بنساب بنعومة الشيفون على جسدها المتناسق.

ما لم تكن عالمة به هو تلك العيون الأخرى الشبيهة جداً بعيون الليدي ساندرز والتي كانت تراقبها بتركيز اكثر من مجرد التسلية.

مرت الحفلة بنجاح قبل أن يغتنم شاب بوجه شاحب فرصة غياب دنيس ويطلبها للرقص، عرفت ميرندا من يكون هذا طبعاً، فهي كانت تراه بعض الأحيان في منزل والدته، كما أنه هو كان يعرفها ايضاً، مع أنه كان يشك بأنه يصدق أنها رائعة الجمال هكذا فرؤيته لها بالجينز والملابس الرسمية أثناء ذهابها للعمل كان لا يظهر جمالها هكذا، وبسهولة ادرك أنها اليوم مشرقة ولامعة وأنها اكثر الفتيات جمالاً من بين كل المدعوين.

راقصته وحدثها خلال هذا عن تعليقاته المرحة حول ابناء الطبقة المخملية المتواجدين في الحفلة فصارت تراهم من زاوية مختلفة بعيدة عن المظاهر والإدعاءات الكاذبة التي يظهرون بها عليها.

وتعليقاته التي كانت خبيثة بعض الشيء لم تزعجها، فالثرثرة والإشاعات كانت كثيرة في قرية مثل كينفز نورتون، وكان يكرر فقط ما كانت تشك به والدتها لسنوات، وايضاً هي فكرت هو كان يحاول فقط إمتاعها وتسليتها وشعرت بالاعتزاز لأنها انتقاها من بين كل الفتيات ليراقصها.

دنيس كان بانتظارها حين انتهت الرقصة ولم يكن مسروراً جداً بما حدث.

«انت لست مهتمة بذاك الشاب التافه اليس كذلك؟» سألها وهو غير قادر على تجاهل تورد خديها واللمعان الغريب داخل عينيها والتفتت ميرندا إليه بغضب.

«أنه ليس تافهاً» قالت بحدة «أنه لطيف جداً في الواقع، رجل محترم... شيء قد لا تعرف انت الكثير عنه».

ظهرت الخيبة على وجه دنيس وسارعت بالاعتذار «آسفة دنيس» قالت وادركت أنها كانت فظة معه فبعد كل شيء دنيس هو السبب في حضورها إلى هذه الحفلة «الأمر فقط كذلك... حسناً أنه يعجبني».

وصمت دنيس فهو لا يريد أن يخسرها. كان نصف واقع في غرامها وكان قد بدى يأمل في أن تبدأ هي بحبه. كان يعلم عن ثروتها، وانه لم يكن لها أبداً صديقاً حميماً ثابتاً لكنه كان يأمل بتغيير كل هذا.

على كل حال عاد دنيس لخيبة الأمل، فبعد اسابيع صار مارك يتواعد مع ميرندا رغم معارضته هو معارضة والدتها لهذا.

«انت حمقاء» قالت السيدة غراهام لابنتها «أنه ليس من مستواك، لليدي ساندرز لن تدع ابنها أبداً يتزوج من ابنة مدبرة منزلها».

«لم لا؟» سألت ميرندا وهي لا تزال طائرة فوق الغيوم. فكل

الفتيات في المكتبة رأوا سيارة مارك الحمراء المكشوفة الرائعة حين جاء لاصطحابها بعد العمل، ولكن اصدقائها حسدوها على حظها الرائع. الكل ما عدا جوديت صديقتها المقربة وعرضت صداقتهما للخطر حين اتهمت ميرندا بأنها تواعد مارك بسبب ماله فقط. نفت ميرندا هذا الأمر بشدة ولكن في اعماق نفسها تساءلت إن كانت ستجده بنصف هذه الجاذبية بدون سيارته والمنزل الذي يقيم به.

الآن غرقت السيدة غراهام في كرسيها قرب الموقدة وتابعت كلامها «انت لا تفكرين بجدية كافية، آه أظن انني لا استطيع أن الومك. انت وانا كان علينا دائماً العمل لنجني كل قرش نحتاجه. لكن ذلك الشاب... أنه يشبه والده كثيراً حسب ما أرى، ولا اريده أن يحطم سيارته اللامعة تلك وانت بصحبته».

تحركت ميرندا بعدم ارتياح «مارك لن يفعل ذلك، أنه يقود بسرعة، اعلم لكنه دائماً منتبهاً».

«حين يكون صاحياً» قالت والدتها بجفاف «اشك انك قد رأيته وهو مخمور بعد. لكن الأمر معروف وذلك بدون... حسناً انت تعرفين ما أقصد».

«ممارسة الحب؟» اكملت ميرندا وهي تخطو أمام الطاولة «هل هذا ما تقصدين؟ نحن لا نمارس الحب انا... انا لن افعل هذا حتى ولو طلب هو مني ذلك».

نظرت والدتها إليها بشك «وما الذي تعرفينه انت حول هذا الموضوع؟ ما أدراك ماذا ستفعلين إذا وجدت نفسك في مواجهة هكذا موقف؟ ميرندا، لا فائدة من الكلام، لن تفهمي ولو بعد مليون سنة. لكن صدقيني إن هناك لحظة في حياة كل إمرأة تصبح فيها غير قادرة بتاتاً على الإمساك بزمام الأمور...».

«آه! أمي» تنهدت ميرندا «انا اعرف حقائق الحياة كما تعلمين. اعرف عن... عن كيمياء الجسد».

«هل هذا ما تسميه؟ أنهم يسمونه شيئاً آخر في هذه الأيام يا عزيزتي... لكن لا تهتمي، طالما انك تتذكرين دائماً انك بنظر الليدي ساندرز واحدة من صف طويل من الفتيات اللواتي سيواعدهن ابنها قبل أن يستقر ويتزوج فتاة مناسبة له».

وخرجت ميرندا من الغرفة، كانت تدرك أن كل ما تقوله والدتها حقيقياً على الأقل فيما يختص بالليدي ساندرز. لكنها لم تكن تصدق فعلاً أن مارك مثل والدته. كان لطيفاً جداً، حساساً جداً مرحاً جداً جداً.

ثم، بعد يومين أتتها الفرصة لتعرف إلى أي درجة بإمكانه أن يكون مرحاً.

فبعد عودتهما من نادي للرقص كانا يسهران به في البلدة القريبة لاحظت ميرندا التي كانت تعرف القيادة، وتقود سيارة صغيرة اشترتها لتنقلها من وإلى العمل، أن مارك قد شرب الكثير من الخمرة فاقترحت عليه أن تقود هي مكانه حتى البيت لكنه احتقر تحذيرها وطلبها هذا.

«انا لست مخموراً» احتج بهزء «ما الأمر يا فتاتي؟».

هزت ميرندا رأسها وصعدت إلى مكانها بطاعة، لربما كانت على خطأ فكرت ولأنها ظلت صامتة أثار هذا مارك كما يبدو فقد تخلى عن حذره بالقيادة وأخذ يقوم ببعض الحركات المتهورة. فعرقت يدا ميرندا في مكانها وللحظات وكادا أن يصطدما بسيارة كانت تأتي من الجهة المعاكسة للطريق لم تدر إلا ومارك قد افلت المقود فجأة فسارعت بالتقاطه وتحريكه نحوها فاندفعت السيارة بعيداً عن السيارة القادمة

وتوقفت فوق أجمة من الأعشاب على قارعة الطريق. كان مارك يضع رأسه بين يديه وكانت هي لا تزال ترتجف حين حضر السائق الآخر ليرى ما الأمر.

«ما الذي حدث بحق السماء؟» سأل السائق.

رفع مارك رأسه عندها ورأت ميرندا إنه كان يبكي فسارعت لشرح الوضع للسائق مدعية أن الفرامل قد تعطل للحظات وأن مارك هو من أنقذهم من الاصطدام. السائق كان غريباً واكتفى بشرح ميرندا قبل أن يودعها ويذهب. عندها دفن مارك وجهه في شعرها وهو يتمتم ويكرر «انا آسف، آسف، آسف» وبالرغم من أنها كانت لا تزال ترتعش من الحادثة فقد هدأته كأنه طفل.

- ٢ -

فقط عندما شعرت بشفاهه تقتربان عبر خدها إلى فمها وذراعيه تحيطان بها ابتعدت عنه فوراً وهي تشعر بالنفور الرافض. وفجأة تغير مواقعهم ولم تعد هي معجبة به، كانت هذه نقطة تحول مفاجئة أخرى في علاقة ميرندا مع عائلة ساندرز.

مرت أيام عديدة قبل أن ترى مارك مجدداً. وكانت تعرف أن الفتيات في المكتبة، كانت تظن أن الوريث الشاب هو الذي تخلى عنها لكن لسبب ما هي لم تكترث، لتجد أن مثالك الأعلى له قدمين من الطين كان دائماً أمراً غير محبباً وكانت ميرندا فرحة لفترة التقاط الأنفاس هذه لتستجمع أفكارها.

ثم حين توصلت للقرار بأن كل شيء قد انتهى بينهما وجدته بانتظارها أحد الأمسيات خارج المكتبة. متجاهلة حاجباها المرتفعان دهشة حين رأته صعدت إلى السيارة ونظرت إليه مطولاً

www.elromancia.com

«اعلم» قالت بدون أي مقدمات «كنت بحاجة للوقت للتفكير وأظن انك كنت كذلك ايضاً» أحنت ميرندا رأسها «وما هو الشيء الذي يسترعي التفكير به؟».

«انت، انا، نحن» قال بقوة «ميرندا... هل تتزوجينني؟».

وانذهلت ميرندا فقد توقعت أي شيء إلا هذا «انا» همست «اتزوجك؟ هل انت جاد؟».

«لم اكن بهذه الجدية في حياتي» أجابها بصدق «انا اهتم كثيراً بك، ميرندا، ما يكفي للإعتناء بك طيلة حياتي الباقية».

«لكن... والدتك...» تمتمت بدهشة.

«اتركي أمر والدتي لي» قال ولدهشتها اقتنعت أنها تستطيع الاعتماد عليه بهذا.

لكن هل هذا حقاً ما تريد؟ تساءلت بغموض فيما حرك مارك السيارة. فمنذ أيام وهي تصارع حقيقة مشاعرها من أنها حقاً لا تحبه وأن موقعه الإجتماعي وماله هما اللذان اعمياها عن رؤية نقاط ضعف الرجل، والآن فجأة هو يطلب منها الزواج عارضاً عليها الانتقال من حياة الفقر إلى الطبقات العليا وها هي تتردد؟.

لكن والدته ستصاب بالغضب الشديد وكذلك والدتها... كيف ستستمر بكونها مدبرة المنزل لحماة ابنتها؟.

لكنها لن تحتاج لهذا، فميرندا ستتأكد أن والدتها لن تضطر للعمل ثانية ستعمل على هذا طبعاً في حال تزوجت مارك.

كان هذا طلباً مغرياً وإغراءه ازداد حين فكرت بما سيكون وقول كل أهل القرية، ميرندا غراهام السيدة ساندرز الجديدة! سيدة القصر!.

تسارع نبضها، ما الذي كان يحصل لها؟ فكرت بازدراء كيف

بإمكانها التظاهر بالفرح والغبطة فيما هي ساعات قليلة كانت تشعر بالارتياح لتحررها منه؟ ما الذي تغير؟ كان لا يزال نفس الرجل وهي لا تزال المرأة نفسها. عدا أنها الآن تملك شيئاً ثابتاً تتكىء عليه...

والذي عليها التفكير به هو ما بعد الزفاف. هل بإمكانها فعل ذلك؟ هل هي تشعر بمودة كافية نحوه للتجاوب مع الأشياء التي ترتبط بالزواج؟ فهي لم تشعر يوماً بانجذابها الجنوني لرجل ما دائماً عقلها وإدراكها كانا هما الموجهين لحياتها وخطواتها. لم تكن قاسية وجاهدة بل واقعية لكن لأي درجة يجب أن تكون واقعية الآن؟.

وكما هو متوقع الليدي ساندرز لم توافق على زواجهما مع أن كلمة لم توافق لا تعطي المعنى الصحيح لردة فعلها حين أخبرها ابنها عن نيته بالزواج من ميرندا.

رغم إغلاقها لباب المطبخ وإغلاقها لإذنيها إلا أن صوت شجارهما كان يخترق أذنيها وعرفت مسبقاً أنها هي سبب هذا الصراخ.

لاحقاً وافقت الليدي ساندرز بمضض على الخطوبة بسبب إصرار وعناد مارك وانتشر الخبر بين أفراد القرية جميعاً الذي كانوا يحسدونها على حظها وقام الصحفيين بإجراء مقابلات معها حول قصة انتقالها من الفقر إلى الغنى. كما وصارت صورها تظهر في الصحف مع مارك ووالدته.

والدتها تقبلت الأمر بصمت دون أن تعنفها وبدا كأنها قد هرمت وكبرت أجيالاً. فهي كانت تشعر أن ابنتها لن تجد السعادة في هكذا زواج.

أما الليدي ساندرز فقد صارت تصطحبها إلى خياطها الخاص وإلى المحال المختلفة واكتشفت أن هذه الفتاة ليست لينة ومطيعة تستطيع أن توجهها كما تريد فلميرندا أفكارها وشخصيتها الخاصة

القوية. فصارت تعاملها بأدب بارد ووجدت ميرندا نفسها تعجب بهذه المرأة وتحترمها رغم عدم حبها لها. ونشأ نوع من الاتفاق الغير مكتوب بينهما. كان موعد الزفاف قد تحدد بعد اسبوعين ووجدت ميرندا نفسها ترتاح وتعتاد على فكرة زواجها من مارك.

فهو كان يعاملها دائماً بلطف ونعومة ولم يكن متطلباً كما وأنه خفف من شربه للخمرة كثيراً وصار يخفف من سرعته في القيادة مخبراً إياها أن انطباعها الأول عنه كان خاطئاً وأنه ليس كما ظنته.

كان كل شيء بوتيرة جيدة متصاعدة حتى مساء حفلة نادي روتدام الذي دعيت إليه الليدي ساندرز ومارك وطبعاً هي.

كانت قد ارتدت فستاناً مخملياً بلون الكريم ويحاذي رقبتها المكشوفة بشال حريري عاجي وكان شعرها كالعادة ينسدل على كتفيها وحول وجهها بطبقاته الملساء الكثيفة وكانت قدرفعته عن الجانب بخرزات زبرجدية خضراء تلمع وتعكس لون عيونها، الإثارة كانت تلون خدودها بالأحمر وترسل اللمعان والبريق داخل عينيها الواسعتين وادركت بالقاءها النظرة الأخيرة على المرآة أنها لم تبدو من قبل أبداً بمثل هذا السحر والجاذبية.

اتجهت إلى غرفة المكتبة حيث كان مارك ووالدته ينتظرانها وهما يحتسيان الشاي. مرت بطريقها على غرفة الجلوس الفاخرة برياشها الضخم والمدفأة ذات الطراز الفيكتوري القديم. كان في وسط الغرفة تقريباً حين سمعت صوت يصدر من إحدى الكنبات نظراً لإدراكها أن مارك ووالدته في غرفة المكتبة فقد ظنت أن في الغرفة أحد اشباح آل ساندرز لكن حين استدارت بنظرها نحو المكتبة لم تجد شبحاً بل رجلاً.

«مساء الخير ميرندا!» جاءها صوت الرجل الطويل القامة الجالس

على الكنبة الضخمة وعرفته فوراً بشعره الداكن جداً وعينيه الواسعتين ورموشه الكثيفة.

«انت... انت السيد نيفيت؟» هل لم تكن قد رأته منذ سبع أو ثماني سنوات، وقبل هذا الوقت حين كانت تتصادف به في هذا المنزل لم تكن تتحدث معه ولم يعتذر هو لها أبداً عن العمل الخبيث الذي قام به مفسداً لها حفلة عيد ميلاد طفولتها العاشر، والآن هو يتكلم معها وكأنه يعرفها جيداً! كيف يجرؤ على هذا؟ وما الذي كان يفعله هنا على كل حال؟.

كأنه عرف سؤالها المكتوم حرك جيم نيفيت عضلات كتفيه وقال «يبدو كأنني وصلت في الوقت السابق لزفافكم اليس كذلك؟».

كانت الأنكليزية بدون أي لكنة أجنبية فهو قد درس في مدارس انكلترا ووالده ايضاً انكليزي لكن منظره لم يكن انكليزياً أبداً بشعره الداكن وعينيه السوداوين وبشرته الغامقة.

كان يبدو برازيلياً لكن كان هناك شيء ما في عينيه يختلف عن كلا الجنسين.

«انت... ستبقى؟» سألته دون أن تعرف تماماً ماذا تفعل وهي تقف في مكانها أمام هذا الرجل البادي الرجولة والقوة والجاذبية. هل كان سيحضر الحفلة معهم؟ ولماذا لم يخبرها مارك عن مجيئه؟.

«اعتقد انك كذلك» قال لها بإلحاح وهو يقف واضعاً يديه في جيابه «لكن لا تهتمي فانت قد اصبحت عضواً من العائلة الآن».

«ليس عائلتك سيد نيفيت» قالت ورأت الابتسامة الصغيرة التي رفعت أطراف فمه «تستطيعين أن تناديني جيم» قال رافضاً مجادلتها لكنها قررت أنها لن تعطيه أبداً هذا الرضى.

ظهور الليدي ساندرز قطع أي مزيد من المناقشة بينهما. المخمل

الأسود كنا يناسبه تماماً مع أن عينيها التمعتا بالحسد حين رأت رداء ميرندا الكريم.

مارك أبدا إعجابه بمظهر خطيبته وأحاطت ذراعيه خصرها بتملك وهو يسأل جيم إذا ما كان يحسده على حظه الموفق بانتقاء هكذا خطيبة.

رد جيم كان حماسياً كما اراد مارك لكن نظرة السخرية داخل عينيه جعلتها تكرهه لهذا.

الحفلة كانت مناسبة ممتازة لصحافيين الكثر الذين اداروا رأس ميرندا بفلاشات صورهم المتعددة لأنها خطيبة مارك ساندرز حتى أحست كأنها يكاد ينفجر وبالكاد لاحظت من الذي استغل انشغال مارك عنها للحظات ودعاها للرقص. كان هنا ارتياحاً لها جعلها تهرب من وجه الصحافيين والكاميرات.

لكن حين وصلت إلى ساحة الرقص وذراعي جيم حول خصرها كباقي الراقين اضطرت أن تدفعه قليلاً بيديها الموضوعتين على صدره لتحافظ على مسافة بينهما.

«ما الأمر؟» سألها بنعومة «نحن نرقص فقط».

لكن لم تستطع ميرندا الاسترخاء.

«تنفسها اصبح متسارعاً ونظر بتعمد مركز على باقي الراقصين لتتجاهل إحساسها بجسد جيم القوي الذي يكاد يلتصق بها.

كان العديد من الشباب يرقصون بنفس طريقة رقصهم واذرع الفتيات بأجملهم ملتفّتين حول رقاب الشباب إذن لماذا كانت هي بالذات تشعر بالانزعاج هذا ما لم تعرف سببه. لكن في الواقع هي كانت تعرف. فهذا الرجل كان يتمتع بجذاب رجولي خاص جعل كل النساء تنظر باتجاهه كأنه مغناطيس يجذب النظرات ولهذا اقنعت

ميرندا نفسها، لهذا كانت تشعر بوجوده الحسي قربها. لم يسبق لها وأن شعرت مع مارك هكذا ربما لأن مارك اكثر نحفاً وأقل عضلاً ولأنه لم يكن يقربها منه بقوة هكذا.

«هل.. هل ستبقى في انكلترا لفترة طويلة، سيد نيفيت؟» سألت محاولة التحدث بطريقة عادية ونظر إليها وحاجبيه مرتفعان قليلاً بدهشة.

«لم اظن أن هذا الأمر يهمك» قال «في الواقع كنت انوي الرحيل الاسبوع المقبل ولكن مارك اقنعني للبقاء لحضور الزفاف».

طبعاً مارك سيفعل هذا فلطالما كان ولا يزال معجباً جداً بقريبه الأكبر سناً. ولكن تمنت ميرندا لو أنه لم يكن كذلك بقوة فاقت بكثير قوة إذلالها القديم وهي طفلة.

«أخبرتني عمتي انك تعملين في المكتبة العامة» قال ومدركاً أنها مجبرة على مبادلته الحديث رفعت نظرها إليه. كان أطول قامة من مارك ومسحت نظرتها ذقنه الرقيقة والخطوط القاسية حول فمه أن تصل إلى عينيه. لكن تلك الأعماق السوداء ازعجتاها وتمنت لو أنها تقدر على قول شيء ما تمسح به السخرية التي كانت مرتسمة داخلهما.

الظاهر أنه يوافق مع عمته ولا يرى مثلها أي سبب يدفع مارك لاختيارها كزوجة له وهي من مستوى اجتماعي أقل منه كثيراً وكما يبدو غير مناسب.

«ماذا تعرف انت سيد نيفيت؟» قالت ببرود «حين لا تكون تستهزىء بالطبقات العاملة؟ أم هل أن العمل الشريف هو أمر مشين بالنسبة لك؟».

لم يتغير أي شيء في ملامحه وقال «كما هو الأمر مع مارك تعنين؟»

سألها باغاظة وادركت أنها قد وقعت في فخ نصبته لنفسها.

«مارك له عمل» دافعت عن خطيبها بحدة «الملكية...».

«تدار جيداً من قبل اشخاص قادرين وخبيرين» قاطعها مكملاً «كما ترين، انا اعرف عن الأمور لكني اشك انك تعرفين».

تمنت ميرندا لو أن الفرقة تتوقف فوراً عن العزف وتنهي هذه الرقصة. فكل دقيقة كانت تقضيها مع جي بيفيت كانت تعمق الجفاء والنفور بينهما. هي غير معجبة به ولكنه قريب خطيبها وقد شكت أن الليدي ساندرز ستلجأ لأي شيء ممكن لمنع ابنها من الوقوع في هكذا زواج غير مناسب من وجهة نظرها.

ادركت ميرندا أن جيم بعد أن اخفض رأسه حتى تتمكن من سماعه بوضوح وبهذا فقد اخفض شفاهه إلى قرب أذنها وكاد يلامس شعرها.

رائحة المشروب الخفيفة التي انبعثت من انفاسه عطرت جبينها، شعور ليس غير مستحب، وجعلها هذا تشعر بالروائح الأخرى المنبعثة منه رائحة الصابون الذي يستعمله، رائحة عطر ما بعد الحلاقة، رائحة النظافة الرجولية لجسده. شعره كان أملساً كشعرها ولا يحتاج للعناية الاصطناعية بل كان كثيفاً ناعماً ولامعاً بطبيعته.

أخبرتها أحاسيسها بكل هذا، مرسلين الحساسية إلى اطراف اصابعها الملامسة لصدره، ابتلعت ريقها بصعوبة وموجة من الحرارة سيطرت عليها وشعرت بمغص في معدتها، وتسارع في ضربات قلبها. يا الله! فكرت بضعف، ما الذي كان يحصل لها؟ فقد شعرت كأنها على وشك الإغماء. بالطبع هي كانت تسمح لمخيلتها بالسيطرة عليها.

لاحظ هو تغير لونها المفاجيء نسألها بحدة «هل تشعرين انك

بخير؟».

تدبرت ميرندا أن تهز رأسها «نعم، كلا، الأمر... الحرارة مرتفعة جداً هنا، اليس كذلك؟».

«هل هي حقاً؟» سأل وعينيه تحدقان بها «هل آخذك إلى خطيبك؟ أم انك تفضلين أن نخرج قليلاً لتنشق الهواء على الشرفة للحظات؟».

الحالتين كانتا غير مناسبتين، فخروجهما إلى الشرفة سيجذب فوراً أعين الصحافيين وبدأ الفضائح وذهابه إلى مارك وهي بهذة الحالة من الضعف وساقيها ترتعشان أمراً غير معقولاً ايضاً.

«هناك غرفة خلفية صغيرة خلف الفرقة» قال جيم بهدوء «تستعملها الفرقة للراحة بين الوصلة والأخرى، تستطيعين الاستراحة هناك لبعض اللحظات إذا فضلت الهروب من جمة الصحافيين».

الحفلة كانت تقام في فندق إفليك، اضخم فندق في البلدة وكان حول القاعة العديد من الغرف الصغيرة.

عجقة المدعوين وانغام الرقص والموسيقي جعل من السهل عليهما الخروج من القاعة دون أن يلاحظهما أحد. توقعت أن يتركها جيم بعد أن وصلت إلى الغرفة واتكأت على حائطها الداخلي لكنه اتكأ على الحائط بجانبها وأخذ يحدق بها عبر الظلام.

«انت أحسن الآن؟» استفسر بعد أن تنهدت بصوت مسموع ونظرت إليه بعدم تأكيد.

«أظن انك ستخبر مارك؟» قالت؟«أخبر مارك؟ أخبره ماذا؟».

«عني، عن هذا».

«وماذا عن هذا؟» وابتعد عن الجدار «لماذا تظنين أن الأمر سيهمه؟».

هزت ميرندا رأسها «انا... لا ادري».

«ألا تدرين حقاً؟».

لم يظهر الاقتناع على لهجته وانتفضت حين مد يده ولامس وجنتها الناعمة، وأصابعه تتلمس أطراف فمها، حين انشقت شفتاها أخذ يلامسها بأصبعه ولكن فجأة سحب يده فوراً وشعرت بسوط الندم يلسع عقلها.

«تعالي» قال «سيفتقدونا، لقد توقفت الفرقة عن العزف».

لم يسبق لها وشعرت بهكذا إذلال في حياتها وبأصابع مرتجفة اصلحت من وضع شعرها ثم مرت بجانبه في طريقها للخروج من الغرفة. لكنها لم تخطو بعيداً قبل أن تسمك أصابع قاسية برسغها وأجبرتها على أن تستدير لترى... وجه خطيبها.

«مارك...» شهقت باستغراب ثم لاحظت التغيير الغاضب المتفجر الذي كان على ملامح وجهه الناعمة عادة «مارك ما الأمر؟».

«إيتها المتسولة!» تمتم بمحاذاة أذنها «ما الذي بحق الجحيم كنت تفعليه؟».

إذا كانت في البداية شاحبة قليلاً فقد أصبحت الآن كالورقة البيضاء ونظرت حولها باحثة عن جيم لتشرح الأمر لمارك.

«انا... نحن... جيم...».

«جيم إيه؟» قاطعها مارك بحدة «لم يستغرق الأمر طويلاً اليس كذلك؟ آه يا إلهي كان عليَّ الاستماع لوالدتي حين حذرتني...».

«حذرتك؟» قاطعته ميرندا وهي تتمنى ألا يسمع كلامهما أحد «مارك انا لا ادري عمَّا تتكلم؟».

«إيتها الحمقاء الصغيرة! ألا تفهمين؟ أمي هي التي طلبت من جيم الحضور ليس انا! هي دعته للحفلة، هي طلبت منه البقاء حتى

الزفاف، لأنها اكانت تعرف كم هو خنزيراً، جذاباً ومثيراً، وكيف أن فتاة خفيفة مثلك لن تتمكن من مقاومة إغرائه ومغازلاته».

«كلا» صرخت ميرندا واسرعت بتغطية فمها «كلا، هذا غير صحيح مارك، انا اقسم لك...».

«بماذا تقسمين؟» سألها وهو يترنح قليلاً في وقفته وادركت لخيبتها أنه كان شبه مخموراً «بانك لم تشعري بالإنجذاب نحوه؟ انك لم تقضي طوال الحفلة السابقة وانت تحدقين بوجهه؟ بانك لم تخرجي من القاعة قبل موعد انتهاء الرقصة بربع ساعة؟».

«لقد شعرت بالإغماء...» بدأت بيأس وطأطأ مارك رأسه بقوة.

«اراهن انك فعلت» تمتم «وحين افكر انني اعتقدت انك ستحافظين على نفسك من أجلي».

نظرت ميرندا حولهما بيأس عقلها أخبرها أن مارك لا يقصد فعلاً ما يتفوه به، لكن هذا لا يجعل كلامه أقل إيلاماً. تألمها ايضاً من أنه قد يكون على حق بالنسبة لقريبه، وهذا آلمها اكثر من أي شيء، لو أنها تستطيع فقط أن تأخذه بعيداً عن هذا المكان عن هؤلاء الاشخاص فقد تتمكن من اقناعه أنه مخطأ.

«مارك، يجب أن نتحدث» قالت بصوت منخفض وحاد «الآن... هل تريدنا أن نتحدث هنا حيث بإمكان الجميع أن يرانا؟ أن يسمعنا؟».

نظر مارك إليها بتعجب «ماذا تقصدين؟».

«آه مارك» وحدقت به بتوسل «ألا ترى؟ انك تتصرف بنفس الطريقة التي يريدونك أن تتصرف بها! انا لم اقم بأي شيء أخجل منه، ألا تصدقني؟».

حتى حين نطقت بهذه الكلمات تساءلت إن كانت حقاً صادقة.

لكن هذه كانت لعبة قذرة وجدت نفسها متورطة بها ويجب عليها أن تستخدم أوراقها بطريقة صحيحة إذا ارادت النجاح. ردات فعلها حول جيم نيفيت هي شيء ستفكر به وتحلله لاحقاً، لكن الآن عليها إفهام مارك كيف أنه قد تم التلاعب به.

مارك كان يتنفس بثقل فكمية الخمرة في شرايينه كانت تمنع عقله من التفكير الواضح ولكنه اراد بكل قوته أن يصدقها فهو لم يكن يكترث لأي فتاة كما هو يهتم بها، في الواقع لم يكن للفتيات أي دور في حياته من قبل فكل همه كانت السيارات الحديثة والخيول واصدقائه. لكنه كان قد تعب من هذه الأمور وكان من المهم جداً له أن يقوم بشيء يثير عدم موافقة والدته. فوالدته كانت هي من يختار له اصدقائه دائماً لكنه كان قد سأم وتعب من هذه التدابير، ميرندا كانت فرصة من السماء ليهرب عبرها من تسلط والدته الكامل عليه.

«حسناً، قال اخيراً، لنذهب إلى السيارة ونتحدث».

كانت ميرندا لتختار أي مكان آخر غير هذا لكنها لم تجد بداً من الموافقة.

فهي لم تصدق أنه وافق ويجب أن تجاريه لا أن تجادله إذا ارادت أن تحافظ على خطوبتها له وإلا تتعرض لفسخ الخطوبة وللأقاويل التي ستنتشر في القرية.

كان الطقس بارداً في الخارج ولأنهما تحاشيا الممرات الرئيسية للفندق أثناء خروجهما فقد تركت ميرندا معطفها في الداخل، ورأت وجه الليدي ساندرز ينظر إليهما وهما يخرجان من القاعة بتعبير أجفل ميرندا، فقد ادركت أن هذه المرأة مصممة على فعل كل ما بوسعها لتفرق بينهما.

وضع مارك المفتاح في السيارة وأدار المحرك ونظرت ميرندا إليه

بتحفظ «ماذا تفعل؟».

«السيارة باردة» قال «سنحمّي المحرك، بعدها سنتحدث».

«لكن مارك...» عضت على شفتها بقلق ونظر إليها بتغطية «ما الأمر؟ تظنين انني مخموراً جداً للقيادة؟».

تنهدت «بصراحة نعم».

هز مارك رأسه «انت تنزعجين وتقلقين كثيراً، انا ادرك ما افعله تماماً».

تمنت ميرندا لو تكون واثقة من هذا ومحدقة عبر النافذة المغلقة تساءلت اين ستعتقد الليدي ساندرز أنهما قد ذهبا. ولربما سترسل جيم وراءهما! جيم! كمن تتمنى لو تراه مذلولاً لمرة في حياته.

توقف مارك على الإشارة الحمراء وأخذ ينظر إليها على ضوء مصباح الطريق «انت جميلة» قال وكأنه قد ادرك هذا الأمر للتو وأجبرت نفسها على الابتسام قليلاً مع أن شفتيها كانتا متصلبتين. ثم تغيرت الإشارة وتابعا المسير، وضعت ميرندا حزام الأمان وتمسكت بمقعدها مقسمة أنها لن تقول له شيئاً حول سرعة القيادة ولم تصدق أن أضواء القرية بدأت تظهر من بعيد إذن فقد وصلا بسلام أخيراً. لكنها اندهشت حين اكمل مارك سيره باتجاه منزله ومنه إلى الكوخ الذي اشتراه لوالدتها حيث كان من المقرر أنها ستعيش فيه بعد زواجهما.

«إلى... إلى اين نحن ذاهبان؟» سألته بقلق.

«سترين حالاً» قال وتوقف قرب مدخل الكوخ.

التقطت ميرندا أنفاسها «هنا؟».

«ولم لا؟ فالمكان ملكي اليس كذلك؟».

«حسناً نعم، لكن...».

«كان مصممو الديكور هنا طوال اليوم وقد اصبح المكان دافئاً ومنتهياً، إنه مكان مناسب لأي حديث اليس كذلك؟».

لم تجب ميرندا ففتح بابه ونزل، وهي تلحق به تساءلت كم من الستائر قد فُتحت وأخذ أصحابها يتجسسون على من يدخل إلى هذا الكوخ وارتعشت حين فكرت برد فعل والدتها حين تصلها هذه المعلومات.

في الداخل كما قال، كان الجو دافئاً وكانت هناك الرائحة الخاصة للدهان الجديد! اشعل مارك المدفأة لكنه لم يضيء الأنوار لأنه لم يكن للمنزل ستائر بعد لكن ضوء المدفأة كان كافياً.

كان الدهانون قد وضعوا شرشفاً طويلاً من القماش ليرتاحوا عليه أثناء عملهم وكانوا يفرشون الأرض بقطعة قماش قديمة. جلس مارك على الشرشف هذا وأشار لها بالجلوس ترددت قليلاً بعد أن نظرت إلى ثوبها العاجي مخافة أن يتسخ لكن بما أن مارك قد جلس فعليها هي فعل المثل.

استدار عليها حين جلست وقال «إذن ها نحن».

«نعم» تنهدت وهي تفكر كيف ستبدأ «مارك، اريدك أن تعرف...» توقفت فجأة حين انحنى عليها وطبع قبلة على رقبتها الظاهرة من الثوب، كان هذا تصرفاً غير متوقعاً وذاب توترها.

«انت... تصدقني؟» سألت بنفس متقطع.

«دعينا نقل انني مستعد لأقنع بهذا» قال وصوته بدا كثيفاً نوعاً ما «تستطيعي أن تخبريني أولاً ماذا كنت تفعلين مع قريبي النصف هجين».

أمسكت ميرندا بتنفسها «مارك! لا تقل مثل هذا الكلام».

«لماذا؟ إنها الحقيقة» وتصلبت شفتاه بعدائية «هل لهذا تجده

النساء جذاباً ومثيراً جداً؟ يقولون أن النساء يحبون هذا النوع من الأشياء».

تنهدت ميرندا «مارك! لقد أخبرتك ما حصل، شعرت بالإغماء و... وسيد نيفيت إقترح بأن اخرج قليلاً من جو القاعة الضاغط للحظات، هذا كل شيء».

«كل شيء؟» التوت شفتا مارك حتى وهو يقترب منها يلامس رقبته وظهرها.

«وماذا فعلتما بينما كنتما في الخارج؟».

«لا شيء» عاد الانزعاج إليها «ماذا تظن اننا فعلنا؟ ماذا كان بوسعنا ان نفعل؟».

«استطيع التفكير بالعديد من الأشياء» أجابها مارك بحشرجة «هذا مثلاً» وأدخل يديه داخل ياقة رداءها متلمساً صدرها.

تجمدت ميرندا، يداه على جسدها لم يثير أي شيء فيها سوى شعورها بالنفور وتعبير وجهه أخبرها أنه عرف ذلك هو بدوره.

«ما الأمر؟» سألها وهو ينحني عليها «ألا تحبين أن المسك؟ ألا تريدينني أن أرى كم انت مثيرة ومرغوبة؟».

«مارك لقد تماديت في هذا...».

«كلا اللعنة عليك، لم افعل» قال بقوة «لم أتماد بعد نصف ما سأتماداه».

وبحركة سريعة التقت ذراعيه حولها وجعلها تستلقي على الأرض ورمى بنفسه فوقها جاعلاً كتفيها تنزفان من نسرات الخشب التي كانت على الأرض وبدأ بتقبيلها وشفتيه رطبتين ومنزلقتين على بشرتها الجامدة الباردة.

للحظات قليلة كانت ميرندا تشعر بالصدمة والذهول وعقلها مشلول

لكن تدريجياً بدأت تعي ما كان يفعله فأخذت تصارع بيأس لتبعده عنها غارزة أظافرها في ذراعيه، محاولة بكل جهدها أن تهرب منه، لم يعد هو الرجل المحترم الذي ظنته بل كان مخموراً تعيساً متوحشاً يهتم فقط بإشباع رغبته الجسدية.

ولم تكن توازيه قوة. فبالرغم من أنه كان نحيفاً لم يجد أي صعوبة في التغلب على محاولاتها المرتعبة بالتخلص منه، وأخذت الدموع تنساب بقوة على وجهها حين سمعت تنهدته المستسلمة، وبدون أن تفهم شيئاً كانت مصدومة جداً ومذهولة لتتحرر حين ابتعد عنها أخذ يزرر قميصه متمتماً لنفسه بنبرة يائسة.

رمشت بعينيها بالكاد قادرة على التفكير واتكأت على ذراعها قبل أن تجلس محدقة به عبر عيونها الدامعة وشعرها المبعثر على وجهها، جامعة ثوبها حولها بأصابع مرتجفة ظنت في البداية أنه قد تعقل وعاد لرشده لكن الوجه الغاضب المتفجر الذي اداره لها اقنعها بخطأ ظنها.

«و... مارك!» ووقفت باهتزاز لكن وجهه ازداد غضباً.

«لا تكلميني» رما بكلماته كالسوط «لا تكلميني».

ازاحت ميرندا شعرها بأيدي مرتجفة ونهضت «مارك، انت ثملاً...».

«ثمل؟ انا؟» واقترب خطوة نحوها ثم هز رأسه وحدق بعنف إلى الأرض «ثمل أيه؟ هذه نكتة! يا الله! اتمنى لو كن ثملاً».

حاولت ميرندا أن تفهم ما كان يقول لكن عقلها لم يكن يعمل بطريقة صحيحة. لكن الإدراك والوعي أخبراها أن شيئاً ما قد حصل أعاد مارك لتعقله وأرادت بيأس أن تجد شيئاً جيداً في هذه الفوضى الرهيبة.

«مارك ستشعر بتحسن في الصباح...».

«هل سأفعل؟ هل سأفعل؟» وحدق بها «ما ادراك انت حول هذا؟ ما الذي تدركيه حول أي شيء؟ تسارع لهاثه مرة ثانية وحين نظرت إليه وجدت لدهشتها الدموع داخل عينيه.

كانت لحظة وإظهار للحقيقة واجتاحتها موجة من التعاطف بالرغم من النفور التي كانت تشعر بها اتجاهه.

«مارك، دعني اساعدك...».

«انت، تساعديني» ضحكته كانت ممتلئه بالمرارة «انا لا احتاج لمساعدتك انا لااريدك، انا لا احتاجك، لم اكن كذلك قط، ألا تفهمين، انا لا احتاج لأي أحد» وبشتيمة متفجرة اندفع بنفسه عبر الغرفة وعبر الباب.

حدقت ميرندا بالباب للحظات غير قادرة على الفهم السريع لكلماته، لكن فجأة فهمت، فجأة عرفت لماذا لم ينهي ما بدأه، لأنه لم يستطع! لم يقدر! هذا ما كان يأكله ويقرضه، كان رجلاً غير قادراً على ممارسة الحب مع أي إمرأة.

نظرت إلى النار ويدها فوق فمها وفيما فعلت هذا سمعت صوت محرك سيارته يدور في الخارج وبصرخة اندفعت فوراً نحو الباب، لايستطيع أن يذهب! لا يستطيع أن يتركها وحدها هنا هكذا! بدون حتى أي معطف ليغطي ثوبها الممزق!.

لكنه فعل، فمصابيح السيارة الخلفيين كانا يلمعان على آخر الشارع عبر الضباب الذي أخذ يغطي كل شيء حين وصلت إلى الباب. ووقفت هناك تراقب آخر شعاع من ضوء السيارة التي اختفت في طريقها.

لم يكن بالكوخ هاتفاً وهكذا هي لن تقدر على الاتصال بوالدتها أو بأي أحد ليأتي ويأخذها من هنا. وايضاً لا تستطيع أن تقضي الليل

هنا، فإضافة إلى أن والدتها ستجن قلقاً عليها إذا فعلت، هي ارادت أن تعود إلى المنزل، إلى غرفتها لتدفع بعيداً كل ما حصل هذه الليلة من أمور رهيبة وقاتلة.

أطفأت الموقد واصلحت من وضعها شعرها ومشت نحو الباب، الهواء المتجمد في الخارج جعلها تتردد وفوراً استدارت وأخذت الشرشف ولفته حول كتفيها. رداءها كان فاتح اللون ويميّز بسهولة في الليل لم يكن بيدها حيلة فخرجت وكان عليها أن تمشي حوالي ربع ميل لتصل إلى الطريق المؤدي لمنزل ساندرز ومن هناك حوالي نصف ميل لتصل إلى المنزل نفسه ولم تكن قد مشت مئة متر، على كل حال، حين التمعت أضواء أحد السيارات خلفها وأحنت رأسها بألم ويأس وهي تصلي ألا يكون السائق أحد معارفها. فالقرية يرودها العديد من الغرباء لقضاء الليل في فندقها الجميل.

خففت السيارة من سرعتها لكنها اسرعت بخطاها متعمدة مدركة خطر تواجدها هكذا في الليل لكن حين فتح شباك السيارة وصوت قاسي قال «ميرندا» كانت مجبرة على التوقف.

السيارة كانت حمراء طويلة، ادركت أنها سيارة الليدي ساندرز لكن لم تكن هي من يقود ولم تكن هي نفسها في السيارة بل كان السائق جيم نيفيت

نظرته الحادة مسحت مظهرها المشعث، وحتى على ضوء الطريق الخافت ادركت أنها ولا بد تبدو بحالة مزرية. وتذكرت المرة السابقة التي رآها بهاممزقة الثوب ومشعثة المنظر وفكرت بغضب متصاعد داخلها أنه هذه المرة ايضاً هو نفسه السبب الغير مباشر لمصيبتها هذه.

«إصعدي!» قال لكنها ظلت تنظر إليه بتحدي مصممة ألا تنصاع له

أبداً «قلت إصعدي» كرر بحدة ومخبرة نفسها أن البرد القارس وطول المسافة حتى المنزل هما السبب طأطأت رأسها وفعلت كما قال فانحنى أمامها وأغلق الباب بعنف متهكم به.

«الآن» قال ووجهه قاسي تحت ضوء المصباح الخافت «ما الذي بحق السماء كان يجري؟».

نظرت إليه ميرندا بحدة للحظة «اريد الذهاب للمنزل» قالت لكنه تجاهل طلبها وأمسك بالشرشف ورماه على المقعد الخلفي ثم خلع سترته ووضعها حول كتفيها، ارادت الإحتجاج وإخباره أنها لا تحتاج لاي شيء منه لكن السترة كان دافئة وناعمة جداً بالمقارنة مع الشرشف الممتلىء بنسرات الخشب الذي كان يخدش اكتافها فظلت صامتة.

«ولو كان علينا البقاء هنا طوال الليل، سيكون عليك أن تخبريني اين كنت؟» قال بتصميم وادركت أنه يعني ما يقول.

ألا تعلم؟ قالت بغضب «أم أن مخيلتك لم توصلك إلى تلك النقطة؟».

«ماذا تقصدين؟».

ثبات ميرندا كان يتبخر، هل لم تريد أن تجلس هنا وتناقشه بما حصل، كان لا يزال جذاباً جداً، مثيراً جداً، وأن تكشف إنهيارها امامه كان أمراً خطيراً.

«ارجوك» قالت بصوت مرتجف «اريد العودة للمنزل، ألا تستطيع تحمل فضولك حتى الصباح؟ انا واثقة أن مارك سيكون اكثر من سعيد ليخبرك بالتفاصيل».

«مارك؟» صرخ بتقطيب «مارك هو المسؤول عن... هذا؟».

لمسات أصابعه خصلات الشعر المنسدلة على سترته الموهير

فانتفضت وتراجعت فوراً من الخوف، فتقلصت عيناه وأضاء مصباح السيارة الداخلي ووجهه نحوها ورأى ما كان يخفيه الضوء الخافت. وجه ميرندا كان شاحباً جداً وكان هناك بعض الكدمات الظاهرة على رقبتها وعنقها، وبدون أي كلمة خلصها من السترة رغم تمسكها بها وتفحص الخدوش في كتفيها وفستانها الممزق من الأعلى. غطت ميرندا صدرها بيديها.

لكنها ادركت أنه لم يكن ينظر إليها كإمرأة أبداً بل كضحية لاعتداء وحشي.

بقسٍ عنيف أحاطها مجدداً بالسترة وأطفأ الضوء، ثم أخذ عدة انفاس ليهدأ نفسه وقال بصوت غاضب «سأقتله».

«كلا» تدبرت ميرندا أمر النطق بطريقة ما «الأمر ليس كما تظن هو... لم يفعل... حاول أن يفعل... لكن... لكن لم يفعل».

أراح جيم جبينه على مقود السيارة «اين هو الآن؟».

هزت ميرندا رأسها «لا اعلم».

«تقصدين أنه تركك وحدك؟ رماك خارج السيارة...».

«آه، لا، لا» لم تشعر ميرندا بالانزعاج هذا في حياتها كلها «نحن... ذهبنا إلى الكوخ، مارك... اشتراه لوالدتي كما ترى، وهو هناك» أشارت بتلعثم «لقد ذهبنا إلى هناك».

«لكنه تركك؟».

«نعم» قالت بيأس «هل استطيع الذهاب للمنزل الآن؟».

استقام محركاً كتفيه «بعد لحظة. هناك أمر آخر بعد».

«ماذا؟».

«لماذا افترضت انني يجب أن اعرف ما كان سيجري بينكما؟».

تنهدت ميرندا «ربما كنت مخطأة، ربما لم تكن تعرف».

«مهما كان الأمر فانا اعتقد انك تدينين لي الشرح».

«آه! اليس بإمكانك الانتظار؟».

«كلا».

تحركت ميرندا قليلاً بانزعاج «ولماذا ادين لك بالشرح؟ انت في جهتهم وليس في جهتي».

«انا في أي جهة» اعلن ببرود «وما هذا الكلام عن الجهات؟ انت ستتزوجين مارك اليس كذلك؟ ستتزوجينه على كل حال مهما كانت أفعاله».

شهقت ميرندا من التلون في نبرته «ولماذا انت تفترض هذا؟».

لكنه هز رأسه ولم يجب بل قال «سأوصلك للمنزل، لربما نجد خطيبك هناك منتظراً ليقدم الاعتذارات».

لكن مارك لم يكن في المنزل، فقط الليدي ساندرز كانت بانتظارهما وهي تخطو بنفاذ صبر على أرض قاعة الاستقبال وشهقت برعب حين رأت مظهر ميرندا. لم تريد ميرندا أن تواجه حماتها المستقبلية بهذا الشكل وارادت الدخول من الباب الخلفي للمطبخ لكن ذراع جيم القوية حول رسغها أجبرتها على الدخول من الباب الرئيسي والوصول إلى هنا.

«يا إلهي! ما الذي حدث؟» قالت الليدي ساندرز وهي تمسك بأكتاف ميرندا بقوة وحين تأوهت هذه الأخيرة بألم انزلت الليدي ذراعيها عنها وتابعت «لقد حصل لكما حادث سير اليس كذلك؟» وارتفعت عيناها إلى جيم «جيم... أخبرني، أخبرني اين مارك؟».

ببطء فك جيم أزرار قميصه ورفع كميه قليلاً قبل أن يقول «ظننت انك تعرفين ذلك عمة ليديا، انا لم أراه».

elromancia.com

«لم تراه؟ لكن...» وأشارت الليدي ساندرز إلى ميرندا «إذن كيف....».

وتوقفت لترطب شفتها بلسانها «ميرندا اين هو ولدي؟».

تمنت ميرندا لو تنشق الأرض وتبتلعها فقد عانت بما فيه الكفاية لهذا اليوم «مارك... مارك تركني في الكوخ...».

قاطعها جيم بقوة «ألا تريدين أن تعرفي ما الذي اوصل ميرندا لهذه الحالة؟».

«انا... حسناً، طبعاً» قالت بتردد «إذا كان للأمر أي علاقة بالموضوع».

«آه إن للأمر كل العلاقة بالموضوع» ردد جيم بحدة «صدقيني».

وفهمت عمته ما يلمح له بنبرته وحدقت به للحظة «حسناً؟ ماذا حدث؟».

توسعت خياشيم جيم «ابنك فعل هذا» قال ببرود «ابنك حاول اغتصاب خطيبته! الآن لماذا تعتقدين أنه فعل ذلك؟».

شهقت الليدي ساندرز ويدها ترتفع لا شعورياً إلى حلقها «غير ممكن أن تكون جاداً».

«آه حقاً لكنني كذلك» قال بقوة وانتقلت عينا الليدي إلى ميرندا بنظرة احتقار.

«وكيف عرفت؟» سألته الليدي بسرعة «من أخبرك بذلك؟ لقد قلت للتو انك لم تقابل مارك؟».

«ميرندا أخبرتني».

«آه، ارجوك» قاطعتهم فوراً ميرندا لكنهما تجاهلاها.

«إذن فستأخذ كلمتها ضد كلمة ابني» قالت الليدي ساندرز.

واطلق جيم شتيمة قبل أن يقول «نحن لا نملك إلا كلمة ميرندا،

لكنك لا تتصورين أنها قد فعلت هذا بنفسها، اليس كذلك؟» وبأصابع قوية أبعدت سترته عن اكتاف ميرندا.

بدا الأمر كأنه مشهداً من ميلودراما تاريخية فكرت ميرندا وصرخة هستيرية تكاد تشق حنجرتها.

الليدي ساندرز حركت بقلق عقدها الألماسي «هذا لا يفسر حتى الآن اين ذهب مارك اليس كذلك؟».

«لقد ذهبنا إلى الكوخ» قالت ميرندا بثقل «كوخ والدتي. هناك... هناك حصل الأمر، وتركني مارك ورحل. بعد لحظات وجدني السيد نيفيت أعود مشياً على الأقدام نحو المنزل».

«يا للروعة!» صوت الليدي ساندرز كان واضح الخبث والشك.

«رائع؟» سأل «رائع لمن؟».

«آه جيم!» ابعدت الليدي سؤاله «لا تورط نفسك بكل هذا».

«لكنني متورط فعلاً» اصر «على كل حال لا أجد أي فائدة من بقائنا لنتجادل حول هذا الموضوع، اقترح أن نسمح لميرندا بالذهاب للفراش، فهي تبدو منهكة... نستطيع متابعة الكلام في الصباح».

رافقها جيم باتجاه المطبخ لكن ميرندا استدارت وواجهته قائلة بتصلب «لا داعي حقاً لتقدمك اكثر، سأكون على اتم خير الآن».

«لا تستطعي الزواج من مارك الآن. ليس بعد ما حصل. بدون التفكير بما قد يأتي ايضاً، اعتقد حتى وإذا اصبحت سيدة المنزل فهذا لا يستحق التضحية اليس كذلك ميرندا؟».

شهقت وقالت «انت تظن انني سأتزوج مارك بسبب ماله؟».

«الست كذلك؟».

«كلا».

«آه، هيا انت لا تقولين لي انك ستتزوجين ذلك البائس لأنك مغرمة به؟» ثم تابع «حسناً، اتمنى لكما النجاح سوياً. انت تستحقين كل ما ستحصلين عليه».

لم تدري ميرندا لماذا، لكنها ارادت أن تختنق وتموت. إنها تحتقر مارك، هي لا تحبه، وهي تحتقر نفسها لأنها تدافع عنه كذلك، لكنها كرهت جيم ايضاً لجعلها ترى نفسها كما هي.

كان يلتفت مبتعداً عنها باحتقار حين وصلت لاسماعهما صوت آهة مكتومة وصوت إرتطام، الصوت أتى من المطبخ وبصرخة اسرعت ميرندا إلى المطبخ ونظرها يسرع بالنظر داخله عبر الباب المشقوق فتجمدت وتوقفت كالموت لدى المشهد الذي طالعها.

كانت والدتها متمددة على الأرض بعيدة إنشات قليلة عن النار ظنت في البداية أن أمها فاقدة الوعي لكنها حركت رأسها قليلاً وهي في مكانها على الأرض.

فأطلقت ميرندا صرخة شاهقة مكتومة فأسرع جيم بالدخول بجانبها إلى الداخل، دفء جسده نشلها من شبه شللها وبساقين مهتزين دخلت الغرفة وركعت بجانب والدتها على الأرض. لكن جيم كان هناك قبلها وكان يجس نبض يدها.

نظرت إليه بتوسل منتظرة ما سيقوله بعد أن رأت سكون حركة والدتها.

«تبدو كأنها نوبة» قال حين انفتح الباب وراءهم بقوة ودخلت السيدة ساندرز لكن ليست الليدي ساندرز التي تركاها منذ لحظات، هذه المرأة كانت دامعة العينين، بشفاه ترتجف وأيدي ترتعش وكأنها كتلة يأس متحركة. أصابعها الحزينة كانت تمزق المنديل الورقي وهي تنتحب «جيم! جيم! اين انت؟ آه يا إلهي جيم مارك، أنه مارك! لقد

وصل شرطي للتو وأخبرني أنه... أنه قد مات جيم! لقد مات. آه يا الله! ماذا سأفعل؟».

مدت ذراعيها نحو جيم لكن ميرندا التي مثل جيم كانت قد نهضت على قدميها لدى دخول الليدي ساندرز وصلت إليه قبلاً وهوت عليه بغيبوبة كالموت لأول مرة في حياتها.

كانت السماء تمطر في يوم الجنازة السابق بأسبوع كامل لموعد زفافهما المتوقع. المدعوين الذين كانوا سيأتون للزواج أتوا لحضور المأتم وادركت ميرندا بحذر أن مستقبلها الذي بدا آمناً وأكيداً قد أصبح في بحر الاهتزاز والشك.

والدتها كانت في المستشفى تعاني من نصف شلل وغير قادرة على التكلم من جراء سقطتها التي حدثت في نفس اللحظة تقريباً التي كانت تتحطم بها سيارة مارك على أحد أعمدة الجسر في القرية.

ليدي ساندرز تقبلت الأمر بشكل سيء تماماً، لدرجة جعلت ميرندا تشعر بالعطف عليها.

فهي قد خسرت زوجها في مرحلة باكرة من حياتها وها هي تخسر الآن ابنها الوحيد. لم يستطع أي أحد إلا أن يشعر بالحزن لأجلها، وبغرابة فخلال الأيام القليلة الماضية شعرت ميرندا بتقارب كبير بينها وبين هذه المرأة اكثر من أي وقت مضى في حياتها.

عادوا إلى المنزل بعد الدفن هي وليدي ساندرز وجيم طبعاً وكانوا جميعاً يرتدون السواد ولم تدرك ميرندا كم كانت تبدو جميلة بالرداء الاسود وشعرها اللامع كانت كالعسل تحت أشعة الشمس.

مرض والدتها هذا قد حطم حياتها العملية، وحتى بعد أن تشف إذا شفيت فالليدي ساندرز ستحضر مربية منزل ثانية غيرها، واين سيضع هذا ميرندا ووالدتها؟ هم لا فقط للمأكل والمشرب. وفكرت

بالكوخ في القرية، قد تسمح لهما الليدي ساندرز باستأجاره، فهي لا تحتاج له.

كان بريدجنورث أحد المعزين ابتسم لها بتعاطف حين اقتربت منهم.

«عزيزتي آنسة غراهام» قال مربتاً على كتفيها بتعاطف «أمر محزن، محزن جداً! كنت أخبر للتو الليدي ساندرز أن عليكما أن تتعاضدا سوياً لتتحملا الاسبوع القادم، الاسبوع الذي كان من المفترض به أن يكون أسعد اسبوع في حياتكما معاً».

وتحرك مبتعداً للتحدث مع زوجته وأتت اللحظة التي كانت ميرندا تريدها.

«لقد رأيت الطبيب في المستشفى البارحة، ليدي ساندرز» قالت ميرندا والتفتا العينان الباهتتان نحوها.

«حقاً؟ وماذا قال؟».

فقدان التعاطف أو الشعور كان واضحاً من نبرتها وملامح وجهها. وهذا تصرفاً مأساوياً من المرأة التي كانت والدتها بخدمتها لأكثر من إثنتي عشرة سنة. لكن على ميرندا المتابعة لأجل والدتها طبعاً.

«لقد قال... أنه من المحتمل جداً ألا تتمكن من السير على أقدامها مجدداً» التوت شفتا الليدي وقالت «هكذا!».

«تماماً» قالت برباطة جأش كاملة «والدتك لن تعود قادرة على متابعة عملها كمدبرة منزلي».

«كلا» قالت وهي تحني رأسها «بالطبع هي لم تكن ستستمر بعملها هنا بعد... بعد...».

«بعد الزفاف تعنين؟» قالت الليدي ساندرز هذا دون عاطفة «كلا، لكن الآن لن يكون هناك أي زفاف».

تمنت ميرندا لو كان بإمكانها تسهيل الأمور عليها «في الواقع» تمتمت «هذا ما اردت التحدث معك حوله».

قطبت الليدي ساندرز «حقاً؟ لماذا؟».

«الكوخ...» كرهت ميرندا اضطرارها للتوسل «الكوخ من بليندلان. كنت اتساءل إذا كان بإمكاننا استأجاره... منك».

«مني؟» وتصلب فم الليدي «مني؟» واطلقت ضحكة غير رحومة «يا ابنتي الصغيرة انت تضيعين وقتك بالتحدث معي، فانا لا املك الكوخ في بليندلان فالملكية كلها قد انتقلت إلى الوريث الذكر الأكبر سناً ألم تعرفي هذا؟».

حدقت ميرندا بها بعدم تصديق «كلا، كلا، لم اعرف».

«ولماذا تعرفين؟ فانا لم اعتقد أن أحدهم يتوقع يوماً...» توقفت قليلاً بمرارة «بيت المزرعة لي ولكنه مأهول كما تعرفين. لكن هذا المنزل ومحتوياته والأراضي وكل شيء يعود لعائلة زوجي».

«لكن ماذا ستفعلين؟» للحظة نسيت ميرندا مشاكلها الخاصة.

هزت الليدي ساندرز كتفيها «لا اعرف، أظن انني سأعطى الوقت الكافي... لأقرر».

ظهور الياس بيل، محامي العائلة قطع محادثتهما وتحركت ميرندا بأدب بعيداً. إذن فكرت بحزن أنها ووالدتها ليستا الوحيدتان بخسارتهما لمنزلهما.

تجولت في القاعة وهي تنظر إلى الأثاث الفخم والجدران الجميلة والسلالم الضخمة، حين تفكر أنها كانت على بعد خطوتين فقط من أن تصبح سيدة كل هذا؟ كانت ستشغل الغرفة الرئيسية في الطابق العلوي وكانت ستنزل هذه السلالم كل ليلة لتناول العشاء. كان سيكون عندها الخدم ليقدموا لها كل ما تريد وكانت ستدعى إلى

حفلات البلدة.

الكونتيسة ساندرز. . . ابنة مربية المنزل، وبالطبع كان عليها تحمل مسؤوليات أخرى ايضاً، ليس أقلها الإرتباط الذي سيدع مارك يدخل غرفة نومها كل ليلة. هذا لم أمراً سهلاً للتصور، وهي بتعدم رمت بعيداً ذكرى رؤيته له للمرة الأخيرة. . .

«تتخيلين ما كان بإمكانك أن تكوني؟» صوت متكاسل انبعث من وراءها والتفتت بسرعة لتواجه وجه معذبها.

«هل سينفع إذا نكرت الأمر؟» سألت.

- ٣ -

مرر يده على ياقة قميصه الحريرية وحدق بها بصمت للحظات. ثم قال «هل ستظنين انني استهزأ بك إذا طلبت منك الزواج بي؟».

اتكأت ميرندا بضعف على العامود الخشبي للسلالم وقد تصلبت بذهول.

«انت غير جاد بالطبع فيما قلت!».

«ولم لا؟» وتقلص فمه «هل هو طلب مقزز؟».

الآن هي فرصتها وتمسكت ميرندا بها بلكتا يديها «بصراحة نعم» قالت ببرود «واعتقد انك قد جننت تماماً لتفكر به».

«حسناً جداً» قال الآن وكادت تصدم بسبب فقدان أي إحساس في صوته «لكنك ستتذكرين جيداً ما قلته» ومشى بعيداً.

دخلت الليدي ساندرز إلى المطبخ حيث كان ميرندا تحضر كوباً من الشاي. قربت الإبريق منها وسألتها «الن تجلسي؟».

www.elromancia.com

جلست الليدي وبدأت ميرندا بصب الشاي لها وهي تتساءل عن سبب هذه الزيارة وساورها شعور أن الليدي على وشك أن تطلب منها أن تستقيل من العمل.

«هل قررت... ماذا ستفعلين ميرندا؟».

قطعت الليدي ساندرز الصمت المزعج بينهما أخيراً فرفعت ميرندا عينيها وقالت «ليس بعد».

«انت تدركين انني لا استطيع مساعدتك».

اخفضت ميرندا نظرها مجدداً «طبعاً».

«انا حتى لا استطيع أن اساعد نفسي» تابعت الليدي بمرارة «يا لها من ورطة كاملة».

اعطتها ميرندا نظرة متعاطفة وقالت «انا آسفة».

ميرندا التي لم تر الليدي بهذه الحالة من قبل شعرت بالانزعاج. لماذا تشعر الليدي ساندرز أنها الآن مجبرة على شرح أي شيء لها؟.

«انا واثقة أن عائلة زوجك لن تحرمك من كل شيء» قالت ميرندا وهي تشعر بوجوب أن تقول شيئاً والتقطت الليدي عيناها المرتبكتين.

«قد يفعلون» قالت «كل شيء يعتمد عليك».

«عليَّ انا؟» وظهر الذهول عليها «ماذا بحق السماء تقصدين؟ ما علاقة هذا الأمر بي انا؟».

تصلبت شفاه الليدي ساندرز «طلب جيم منك أن تتزوجيه اليس كذلك؟ لكنك رفضت».

«لا افهم ما دخل شؤوني الخاصة بإمكانية بقاءك هنا» احتجت بدهشة لكن الليدي ساندرز نظرت إليها بتحديق فقط.

«انت لست بلهاء ميرندا. اردت الزواج من ولدي وانا لست عمياء لأتخيل انك فعلت هذا لزرقة عينيه».

«عما... عماذا تتحدثين؟».

«لماذا لم أخمن؟ كان يجب أن اعرف أن عند جيم شيء مخفي أكثر من مجرد ما يظهره. هو لم يخبرك اليس كذلك؟».

وضعت ميرندا يداً مضطربة على جبينها «يخبرني؟ يخبرني ماذا؟».

«انني الوريث لكل شيء» قال جيم الذي دخل لتوه بكسل من باب المطبخ «كل شيء قد اصبح لي».

«ماذا؟» ولم تعودا قدميها تحملانها فتهالكت على كرسيها فيما استدارت الليدي ساندرز نحو قريبها.

«كنت تسترق السمع؟» قالت ميرندا باحتقار.

«لكن نعم لقد سمعت معظم ما قيل بينكما».

انخفضت عينا ميرندا لكوب الشاي وعقلها لا يزال يتساءل عن دافعه لطلب الزواج بها وعلاقة هذا بالليدي ساندرز.

استمرت فترة من الصمت قبل أن يتحرك جيم حول الطاولة ويواجههما ويداه خلف ظهره. وضع يديه وراء ظهره هكذا صنع فتحات صغيرة بين ازرار قميصه ووجدت ميرندا نفسها تتساءل إذا كان لون جسده كله بنفس اللون الداكن لوجهه ويديه وأخذت تنظر إلى المناطق الظاهرة من جسده عبر الأزرار واحمرت وجنتاها بعمق حين قاطع هو نظرتها المحدقة.

«إذن» قال ثانية «انت لم تشرحي بعد كل الوضع. عمة ليديا، اترغبين بالمتابعة؟».

نظرت إليه الليدي ساندرز ببرود فقال «أرى انك تفضلي ألا تفعلي، حسناً جداً إذن سأشرح انا، هل أبدأ؟».

جمعت ميرندا كل قوتها وشجاعتها لتنهض على قدميها وتقول «لا أرى أي علاقة لما يجري بي لذا إذا كان الأمر سيان فساغادر لأن علي

الذهاب إلى المستشفى..».

«إجلسي».

خرج الأمر من جيم والليدي ساندرز بنفس الوقت فجلست ميرندا بصمت، لكنها حدقت بجيم وهذه المرة رفضت أن يتسلط عليها.

«انا نفسي سأرافقك إلى المستشفى لزيارة والدتك بعد ربع ساعة» قال بوضوح «لكن الآن ستبقين تماماً حيث انت».

زمت ميرندا شفتاها لكنها لم تعترض فتبادل جيم وعمته النظرات. ثم قال بهدوء «ما كانت عمتي تحاول بعدم نجاح إخبارك إياه هو أنه إذا وافقت على أن تكوني زوجتي فسأسمح لها بالبقاء هنا في القصر كسيدته طوال فترة حياتها».

«لكن هذا جور» اندفعت الكلمات من فمها فيما استدارت لتواجه الليدي ساندرز «لا تستطيعي أن تفعلي هذا بي! لا تستطيعي أن تجعليني كبش الفداء لخيبات أملك».

«انا لم افعل» قالت لها الليدي ساندرز ببرود وارتعشت ميرندا بقوة.

«انت مجنون» قالت له بقوة.

«لا تظن انك بامتلاكك للقصر الآن سأشعر بطريقة مختلفة نحوك».

«ماذا تنوين أن تفعلي بشأن والدتك حين تخرج من المستشفى؟ اين تنوين الإقامة؟» سألها بسخرية.

أخذت ميرندا نفساً عميقاً «لا تقلق بهذا الشأن، سأتدبر أمري».

«هل ستفعلين؟» والتوى فمه «بمعاش موظفة مكتبة؟ أخبرتني عمتي انك طلبت منها استأجار أحد الأكواخ، حسناً انا آسف! لكني لن اؤجر أي كوخ لك».

ارتجف فم ميرندا واضطرت لتعض على شفتها السفلى بقوة لتمنعها من الارتجاف «انا لم اتوقع منك شيئاً مخالفاً» قالت وأحنت رأسها لأن دموع الأسى بدأت تتجمع داخل عينيها.

«حسناً» من المدهش كم أن صوته عادياً وهو يتفوه بالكوارث «احضري معطفك سآخذك إلى المستشفى».

جمعت ميرندا قبضتيها «لا داعي لهذا، انا عندي سيارة».

«احضري معطفك».

بعد أن توجها إلى المستشفى توقف على جانب الطريق «لماذا اوقفت السيارة؟».

«لأنني اريد أن اتحدث معك والقصر رغم حجمه الكبير يبدو غير كافياً لنا».

اشعل سيجارة مرسلاً عبيره عبر السيارة وقال محدثاً نفسه «ستتزوجينني ميرندا» وحين رأى تململها المحتج وتحرك شفتيها للكلام أضاف بثقة «ستتزوجينني حتى إذا خرجت والدتك من المستشفى فستجد مكاناً يأويها وأناس يخدمونها ويسهرون على راحتها».

«هل تعتقد حقاً انني سأتزوج منك لأؤمن المأوى لوالدتي» قالت بازدراء «انت تقلل من شأني سيد نيفيت».

«لا اظن هذا» وسحب نفساً عميقاً من سيجارته محدقاً برأسها المشتعل «انت لم تسمعي بعد بقية عرضي».

«اعتقد أن للبقية علاقة بالليدي ساندرز» تمتمت ميرندا «حسناً، ليس بإمكانك جعلي مسؤولة عنها هي ايضاً».

«لا؟ حتى بعد أن أخبرك أنه إذا لم توافقي على طلبي فستصبح هي ايضاً دون مأوى مثلكما».

تململت ميرندا بانزعاج «كما ترى سيد نيفيت انت لا تستطيع أن تهددني، لا شيء سيقنعني بالذهاب والعيش في... في جنوب أميركا، لا شيء! وانا لا أحلم بأجبار والدتي على هذا الوضع ايضاً».

«ما يجول بخاطري هو التالي، انت تتزوجينني وتصبحين سيدة القصر هنا، الأمر الذي اردته من البداية وسأعمل على إعالة والدتك طوال فترة حياتها».

«واين سنعيش؟» اندفع السؤال من فمها قبل أن تتمكن من إيقافه.

«لماذا، في القصر هنا طبعاً، مع عمتي لكن مع... مع تبديل في المواقع».

شهقت ميرندا «طبعاً هذا سيوافقك، اليس كذلك؟ سيوافق إحساسك الساخر».

اختفى بروده ليحل محله شيئاً اكثر ازعاجاً «انتبهي ميرندا» قال ببرود «انا رجل حاد لا تجعليني اقوم بعمل نندم عليه كلينا».

رفعت ميرندا رأسها «انت فقط تتلاعب بنا» اتهمته بقوة «تسيرنا وتحركنا نحو تحقيق مآربك الشخصية».

«وانت لم تكوني تتلاعبين مع مارك؟ تسييره وتحركيه لنفس هذا الهدف؟».

«كلا».

جمعت ميرندا معطفها حول عنقها وقالت «إذا كان هذا كل ما اردت قوله! فانا ارغب بمتابعة طريقنا الآن».

«حسناً جداً» قال وهو يطفىء سيجارته «لكنك ستفكرين بما قلته».

«الأمر لا يحتاج للتفكير» قالت ميرندا بغضب «انا لا انوي الزواج منك سيد نيفيت ولو كنت آخر رجل على وجه الأرض» ثم انطلق.

السيدة غراهام كانت مستلقية في مكانها كالعادة بدون أي حركة

ولا أي شيء داخل عينيها يدل على أنها تعي أي شيء حولها. وازداد شعور ميرندا بالعجز واليأس وهي تنظر إلى والدتها وشعور بالعزلة سيطر عليها غصباً عنها.

إختفى جيم ليتحدث مع الطبيب المسؤول عن حالة والدتها وجلست ميرندا قرب سرير والدتها وهي تتساءل إن كانت والدتها تشعر بوجودها؟ كم من الوقت ستظل على هذه الحالة؟ كم ستسمح لها المستشفى بالبقاء هنا؟.

جيم كان بانتظارها في قاعة الانتظار وحين نزلت السلالم ومرت بقربه نهض على قدميه، عملهما هذا لاحظته فوراً ممرضة القاعة التي كانت تتساءل منذ بعض الوقت عمن كان هذا الرجل الجذاب ينتظر بنفاذ صبر منذ لحظة جلوسه.

كانت ستشعر بالرضى لو أنها تجاهلته وتجاهلت سيارته واكملت نحو محطة الباص، لكن الباص المتجه إلى القرية كان سيتأخر ولربما سيكون عليها الانتظار ساعة أو اكثر في الظلام حتى يصل الباص، كانت تشعر بالبرد الشديد من الداخل والخارج لتقوم بهذه الخطوة.

ولهذا فقد اتجهت معه ودخلت السيارة التي لا تزال دافئة وقبل أن يدير جيم محرك السيارة نظر إليها وسأل «لا يوجد أي تحسن؟».

«كنت تعرف أن الوضع هو كذلك».

صمت للحظة ثم سألها مجدداً «ماذا ستفعلين؟».

نظرت ميرندا إليه بغضب وقالت «وماذا باستطاعتي أن افعل؟».

«انت تعرفين».

تنهدت «اتزوجك!».

«هذا صحيح».

«وماذا ستستفيد انت من هذا؟» وارتعشت «انا لا احبك».

تقوس فمه وقال «الحب انا اشك إن كان بمقدورك أن تحبي أي شخص».

تجاهلت ميرندا جملته هذه وتابع «انا لا اريد ممارسة الحب معك، على الأقل ليس بعد».

«ماذا تقصد؟».

«انت طفلة ميرندا، طفلة أنانية وطماعة! وانا غير مكترث بالأطفال».

«انت فقط اكبر مني بستة سنوات».

«سبعة بالضبط، لكن في الحقيقة كأنهم عشرين سنة».

«إذن فماذا تريد؟».

«اريد العودة إلى سانتا مادلينا».

«ألا تنوي البقاء في انكلترا؟» سألت بدهشة.

«كلا» نصف ابتسامة لم تكن جميلة «انا لا انوي البقاء في انكلترا، فعلى عكسك انا لا آبه لهذا البلد، انا افضل بلدي انا... حيث الناس دافئين وحساسين ليس باردين ويحسبون كل شيء».

«انت تقول هذا؟».

«آه! انا استطيع أن احسب كل شيء كالرجل الآخر إذا اضطررت لهذا».

«لماذا تقوم بكل هذا؟» صرخت لكنه هز كتفيه.

«اردت الزواج من مارك ووراثة الملكية، انا فقط اعطيك نفس الخيار، اريدك أن تعرفي ما الذي كنت مستعدة للتخلي عن حريته من أجله».

تمنت ميرندا لو كان بإمكانها حقاً الفهم «هناك شيء يسمى الطلاق» قالت بعجز لكنه هز رأسه.

«ليس بالنسبة لي».

«ماذا تقصد؟».

«ألم أخبرك؟ انا كاثوليكي ميرندا، فإذا تزوجتني فسيكون الزواج أبدياً».

«وهل هذا ما تريده؟» كانت مرتبكة ومشوشة.

إنحنى ليدير المحرك «لنقل أن النساء لا يهمونني كثيراً» قال مثل مارك... «فقط لا أشبه مارك إذا فهمت ما هو قصدي» وأطلق ضحكة قاسية.

«لكن لماذا؟ لماذا انا؟».

«لقد أخبرتك يسعدني أن افعل هذا» ونظر نحوها «هل افهم من هذا انك تفكرين بعرضي جدياً؟».

هزت رأسها «لا اعرف...».

«ستكونين سيدة القصر» عذبها بكلامه بقسوة.

«حتى ولو من اجل والدتك؟ ستكون مرتاحة اكثر في القصر بوجود ممرضة متفرغة تهتم بها طوال ساعات النهار والليل... طعام جيد وخدم! سأتأكد من أن تكونوا مرتاحين جداً...».

وضعت ميرندا يداً مرتبكة على رأسها.

وبكعبها العالي خطت ميرندا على سجادة الغرفة نحو النافذة لتحدق بالحقول في الخارج. ولكنها لم تر شيئاً من الجمال الممتد بالخارج بسبب غرقها في أفكارها. هل مضت حقاً اربع سنوات على ذلك الزواج الإسمي بينها وبين جيم؟ كانت تفكر، لقد بدت الفترة اكثر من هذا بكثير، لكن ربما كان السبب كل ما أتى بعد ذلك، ليس أقله موت والدتها قبل يومين من عيد ميلادها العشرين، أبرقت لجيم بالخبر هذا لكنه لم يرسل لها الرد وادركت بكل ثقة أنه طالما يختص

الأمر به فهي غير موجودة، بالطبع هذه السنوات الأربع قد غيّرت فيها الكثير إذا لم يكن تغييراً جسدياً فهو تغييراً عقلياً. إقامتها مع ليدي ساندرز قد غيرتها ولم تعد المراهقة اللاهية التي كانتها في السابق، لربما كان جيم على حق، فكرت بإحدى لحظاتها الحالكة، لربما قد اصبحت كالليدي ساندرز اكثر مما تظن، فهي كالباقين تعلمت جيداً كيف تخفي مشاعرها وأفكارها خلف قناع وجهها الهادىء.

فقط مع والدتها كانت ترمي بهذا القناع جانباً وتتصرف على طبيعتها وتتحدث معها بطريقة لا تتحدث بها مع أي أحد آخر. واقنعت ميرندا نفسها عبر الوقت أن والدتها كانت تفهم وتسمع كل كلمة كانت هي تتفوه بها واصبحت كل حركة رمش أو تصلب عضلة في وجه والدتها تخبرها أن الأخيرة تفهم ما تقوله لها. الممرضة التي وظفها جيم لتمريض السيدة غراهام والتي كانت تسكن معهما في المنزل أحست بالارتياح كما هي حال الليدي ساندرز حين انتهت حياة السيدة غراهام الروتينية التي لم تتغير حالتها منذ لحظة خروجها من المستشفى.

ولمدة من الوقت كانت ميرندا تائهة ضائعة لكنها تعلمت تدريجياً أن تمسك بخيوط حياتها مجدداً ولرضى الليدي ساندرز المخفي أخذت ميرندا تحيا كما كان جيم يتوقع. أثناء حياة والدتها كانت تعزي نفسها أنها لولا زواجها من جيم لما كانت أشهر والدتها الأخيرة في الحياة مريحة وهادئة كما هي الحال الآن، ولكن الآن لقد ماتت، وكل وزر المسؤولية التي كانت تحمله ميرندا فوق كاهلها تبخر.

«ميرندا...».

استدارت لتواجه الرجل الذي كان يقف بجانبها وابتسامة صغيرة ترفع أطراف فمها. بول المسكين خطيبها، فكرت بتعاطف هو لا

يفهم. ولم يكن يدرك أن شيئاً كبيراً وكثيراً يجب القيام به أولاً. طبعاً هي لا تزال تذكر جيداً قول جيم لها أنه لا مجال للطلاق أبداً لكنه لم يقل شيئاً حول إبطال هذا الزواج حتى هنا هي تدرك جيداً أنه لن يتقبل باستسلام إحضارها لخطيبها لمقابلته.

«بول انا آسفة، لكن يجب أن أذهب وحدي».

«إلى البرازيل!» وهز بول كورتني رأسه بيأس «لم لا تدعي محاميك يكتب له رسالة يخبرها فيها عن الوضع».

«هل تظن إن هذا ما يجب أن افعله؟».

«نعم».

«وماذا إذا لم يرسل بالرد؟ ماذا إذا رفض؟».

«يستطيع فعل هذا في كلا الحالتين».

«هل تظن انني لا اعرف ذلك؟» واختفت ابتسامة ميرندا «صدقني بول هذه هي الطريقة الأفضل، حين يراني... حين يرى كيف اصبحت».

«اصبحت؟» وارتفع حاجبا بول بتعجب «ماذا تقصدين؟».

«آه! لا شيء!» قالت مجبرة الابتسامة على العودة «توقف عن كونك حزيناً ومتضايقاً يا عزيزي، استطيع الوصول إلى البرازيل في ظرف ساعات. سأذهب وأعود في خلال اسبوع».

«اسبوع!».

«حسنا اسبوعين إذن» قالت ميرندا بإغاظة فاقترب منها وأمسها بقوة من كتفيها وأحنى رأسه نحوها، لكن حين ألصقها به واقتربت يده من ظهرها البادي عبر البلوزة يداها على ذراعيه ابعدته عنها.

«آه يا الله! ميرندا».

قال بصوت كثيف «ما بالك؟ حالما اقترب منك تصديني

وتبتعدين».

وشعرت ميرندا بإحساس الانزعاج المألوف يزداد داخلها.

عبث بول بشعره بيد مرتعشة ثم نظر إليها «حسناً» قال قارئاً تعابيرها «انا آسف، ما كان يجب أن اقول ما قلت، لكن اللعنة ميرندا نحن مخطوبان».

«ليس بعد» صححت له «لكن عما قريب...».

زواجها من بول كان اكبر من نطاق تنبؤها فهي في الواقع لم يسبق لها وتزوجت من قبل وكانت ترفض إعتبار علاقتها بجيم على أنها اكثر من ترتيب مناسب وأملها كبير كان في القيام بإبطال هذا الزواج، فبالطبع حتى الكنيسة الكاثوليكية لن تعترض على ذلك لكن هل سيفعل جيم؟ حسناً لا يهم أصلاً مهما فعل قالت وقررت بقوة. فكيف سيتمكن من منعها؟.

واجبرت نفسها على تحمل معاناة قبلته كما كانت تفعل دائماً وهي تتساءل إن كانت ستجد يوماً ما ممارسة الحب أمراً مسلياً وممتعاً، ربما كانت هي جامدة وباردة، ربما لم يكن مارك هو الملام الوحيد الذي حدث معهم ذلك اليوم، لربما لهذا السبب تزوجها جيم... لأنه شعر بنوع المرأة التي هي منه...

شفاه بول تسللت إلى عنقها وثم ابتعد قليلاً عنها وعلى وجهه تعبير منزعج «أنه جيم اليس كذلك؟ انت لا تزالين تشعرين بانك متزوجة منه».

«انا فعلاً متزوجة منه» قالت وللمرة الوحيدة كانت سعيدة للتحجج بهذا.

«من الافضل أن اذهب» ولامس خدها بيده بلطف «هل سأراك غداً؟».

ترددت ميرندا «إذا احببت، انا... انا يجب أن انزل للبلدة لأتدبر أمر بطاقة السفر وهكذا، اتصل بي حين اعود».

«حسناً» وافقها بول بابتسام وفكرت كم هي محظوظة بكونه لطيفاً جداً هكذا معها، اللطف هو كل ما تحتاجه وحين يتزوجان...

كانت ميرندا تنظر عبر نافذة الليموزين الفخمة إلى الأراضي في الخارج والقلق والترقب رغم كل محاولاتها لتسيطر عليها. كانت رحلتها طويلة ومتعبة نوعاً ما لكن السباحة التي أجرتها صباحاً في حوض الفندق الرائع ساعدها على تحسين مزاجها رغم معرفتها اللاحقة أن سانتا مادلينا كانت تبعد حوالي سبعمائة ميل على ريو دوجانيرو. وأن وسيلتها الوحيدة للوصول إليها هي الطريق البري إذا لم ترد أن تنتظر حتى الرحلة البحرية المقبلة بعد اسبوع.

شاب الاستعلامات في الفندق كان متعاطفاً معها لكنه أصر أنه ليس عليها أن تحاول الوصول إلى هناك وحدها باستأجارها سيارة تقودها بنفسها لأن الطرقات الوعرة والأكواع الجبلية الضيقة ستكون صعبة ومرهقة لها.

«إسمحي لي أن اؤمن لك سيارة وسائق سينيورا» قال وسمحت ميرندا له بين يقنعها بهذا وكلما رأت الطريق اكثر وكلما التفت السيارة حول الأكواع الخطرة كانت ميرندا تحمد الله على اقتناعها بكلام الشاب.

حاولت التركيز على الجمال في الخارج والجبال الشاهقة بقممها الغارقة في الغمام لكن هذا لن يمنعها من التفكير فميا سيحدث لاحقاً في سانتا مادلينا. ورغم أن الجبال لم تكن بروعة جبال الانسديز لكن كان لها جمالها الخاص ووحشيتها ايضاً وكذلك وحشية الأنهار التي كانت تنساب بحركات لولبية نحو مجمع نهر الأمازون وشعرت ميرندا

بمغص في معدتها، فبعد التسمم البسيط الذي حصل له بعد تناولها للطعام من استراحة صغيرة على أحد المحطات وقد أدى بها هذا اليوم لقضاء يومين في مستشفى لأحد الإرساليات، لكن هذه كانت كارثة تضاف إلى باقي الكوارث وبعد هذا اصبحت أخيراً على بعد خمسين ميلاً عن مكان وجهتها.

تأوهت ميرندا بصمت حين مرت السيارة فوق أحد حفر الطريق العميقة وأحست بأمعائها كلها تتخبط، هل هذا ما يفعله هذا المكان بالمرء؟ تساءلت بارتباك هل هي حقاً أخبرت بول أنها ستعود بعد اسبوع؟ لقد مضى اسبوع الآن على خروجها من انكلترا ولمّا رأت جيم بعد فقد حصل عطل طارىء في الطائرة أجبر الركاب على التأخر لليلة كاملة.

سانتا مادلينا كانت مجرد قرية وكانت الليدي ساندرز اكثر من محقة حين أخبرتها أنها قد لا تجد فندقاً في هذا المكان.

«انت ستقيمين هنا؟» سألها السائق باندهال وبسرعة هزت ميرندا رأسها.

«انا... هل تظن انك تستطيع أن تستدل على مكان... مكان منزل السيد نيفيت؟».

«نيفيت؟» قال السائق بعناية «سينيور نيفيت؟».

تنهدت ميرندا «هل تظن انك تستطيع؟».

«سأسأل أحدهم».

وغادر السيارة ومتجاهلة نظرات النساء والأطفال الفضولية، نزلت ميرندا من السيارة بدورها ايضاً، كانت تملك بعض حبات النعنع في حقيبتها فتناولت إحداها واتجهت نحو الحيوان المسكين لتعطمه إياها ويدها ممتدة نحوه حين سحب الحيوان فجأة نحو الأرض. التفتت

ميرندا بقوة مستعدة لإلقاء بعض الاحتجاجات الغاضبة لكنها شهقت حابسة أنفاسها بدهشة. فورائها كانت تقف واحدة من أجمل النساء اللواتي رأتهن في حياتها، بقامتها وجسدها الممتلىء وشعرها الأسود الحالك المنسدل على كتفيها وحول رأسها إيشاراً احمراً ملوناً كالذي يرتدوه الغجر وكانت ترتدي ثياب الفروسية وحذاءاً طويلاً اسود اللون.

قبل أن تتمكن ميرندا من النطق بأي كلمة بدأت المرأة بالكلام وتساءلت ميرندا فور سماعها صوتها اين سبق لها وسمعت مثل هذه اللكنة وهذا الصوت من قبل.

«سامحيني» كانت المرأة تقول بصوت جذاب «لكن البورو مصاب بالبراغيث ولا اريد أن يكون هذا طريقة تعرفك إلى قريتنا... ميرندا».

ميرندا! الفتاة حدقت بها بذهول «انت تعرفين إسمي؟».

ابتسمت المرأة «ومن غيرها قد تكونين؟ من غيرها سيأتي إلى هنا بواسطة السيارة؟ آه ميرندا، سيكون ابني مبتهجاً جداً لرؤيته انك قد وصلت أخيراً بسلام».

«إبنك؟» وشعرت ميرندا بعدم قدرتها على التفكير المترابط «تقصدين... انت...».

«... تيريزا مونتيريو كارفالو! والدة جيم، نعم!».

وحركت ميرندا يديها بعجز وقد ادركت فوراً كم كانت ثيابها البيضاء مغبرة ومجعدة. بجانب هكذا اناقة لوالدة جيم شعرت بالحرج والارتباك وحبة النعنع لا تزال معلقة بين أصابعها.

«انا... انا بالكاد استطيع تصديق هذا» قالت أخيراً «انت! هنا! هل كنت بانتظاري؟».

بدا واضحاً أن تيريزا كارفالو مسحورة بدورها بلقاء زوجة ابنها

www.liilas-romancia.com

لكنها حركت يديها باعتذار وقالت «للأسف كلا، وجودي في سانتا مادلينا هو من باب المصادفة فقط، لقد علمنا انك ستأتي طبعاً، فقد تسلم جيم برقيتك، لكنه كاد يصاب بالجنون والذعر بسبب إختفائك».

«إختفائي؟» ونظرت ميرندا حولها بارتباك «انا... آه! لا بد انك تقصدين تأخرنا في الوصول إلى هنا!».

«هذا صحيح» وقطبت تيريزا «تقولين تأخرنا؟ ألم تأتي بمفردك؟».

ابتسمت ميرندا قليلاً قائلة «انا اقصد السائق» شرحت وارتاحت اسارير حماتها فوراً «نحن... اقصد... انا كنت متوعكة قليلاً...».

«كلا!» قالت تيريزا بقلق «ما كان الأمر؟».

«آه كان شيئاً غير خطراً، فقط انزعاج من المعدة، هذا كل شيء، السبب هو أكثاري من الطعام الدسم على ما اعتقد».

ظلت تيريزا بادية القلق «مشاكل كهذه قد تكون خطيرة، عليك السماح لجيم بفحصك حين يعود».

«هذا حقاً غير ضروري...» ثم انتبهت لكلام حماتها «جيم... غير موجود هنا... متى سيعود؟».

وضعت تيريزا يدها مطمئنة على كتفيها وقالت «لا تكوني مكتئبة هكذا يا حبيبتي لقد أخبرتك أنه كان قلقاً عليك لقد طار إلى ريو ليستفسر عن سبب تأخرك».

«طار؟» وظهرت الصدمة على ميرندا «تقصدين أن هناك مطار هنا؟» وعانت هي من هذه الرحلة الرهيبة؟.

لكن تيريزا هزت رأسها «ليس مطاراً، كلا، لكن الأيستادو يملك طائرته الخاصة، فالمواصلات غير جيدة كما لاحظت بالتاكيد نحن

بحاجة لطرقات في حالة أحسن. ولكن حتى يحدث ذلك نحن نستعمل الانتقال عبر النهر أو بالطائرة».

«نعم لقد فهمت».

شعرت ميرندا أنها على وشك الإغماء فقد مضى وقت طويل على قطعة الساندويش التي اعطتها إياها الممرضة كفطور ورائحة المواشي هنا والعلف وما بدا كأنه مجروراً مفتوحاً دون التحدث عن الذباب كاد أن يشعرها بالدوار.

كانت على وشك الاعتذار والعودة إلى السيارة حين ظهر السائق من داخل أحد الأبواب وأتى نحوهم سريعاً وفي يده كعكة محلاة كالتي تناولتها ميرندا سابقاً وأصيبت بالتسمم وكان على وجهه علامات الاعتذار بسبب طول مدة غيابه. إلا أنه نظر نحو تيريزا باستغراب وقال لميرندا «لا يوجد أحد بإسم نيفيت هنا سينيورا!».

استدارت ميرندا نحو تيريزا لتشرح لها لكن تيريزا كانت قد فهمت فقالت «إسم زوجي هو كارفالو، وابني يُعرف بهذا الإسم ايضاً هنا».

ابعدت ميرندا شعرها بيد مرتجفة وقالت «إذن اشكر السماء لأنني التقيت بك، لا أدري ماذا كنت سأفعل لو لم اراكِ».

«كان عليك إرسال برقية موسعة اكثر لجيم عن قدومك» قالت حماتها بأول ملاحظة عدم رضى في صوتها «لكنك لو سألت عن الطبيب لعرفوا فوراً من تقصدين» قالت بحزم «لقد تشوقنا كثيراً لمقابلتك، ميرندا من الجيد انك شعرت الآن بضرورة حضورك إلينا، فقد مضى وقت طويل».

وجعلت هذه الكلمات ميرندا تشعر بالانزعاج الإضافي.

«لكن انا...» وتوقفت لفقدانها للكلمات المناسبة «انت... انت لطيفة جداً».

تعمقت ابتسامة تيريزا ونظرت ميرندا إلى الخطوط التي رسمتهم الأبتسامة حول عينيها وفمها، أنها تبدو شابة وأصغر من أن تكو والدة لجيم وحين وصلت أفكارها إلى جيم موجة من الانزعاج سيطرت على ميرندا مجدداً.

«اتمنى أن تحبي مونت بارازيو، منزل جيم هو منزلك» قالت تيريزا بنعومة.

«شكراً».

لم تستطع ميرندا إلا أن تقول هذا وادارت رأسها لتحدق بالخارج، من الواضح أن برقيتها لجيم لم تخبرهم أي شيء في ذلك الوقت ولكن كيف كان لها أن تعرف أنها ستجد نفسها في هذا الوضع الغامض حين تصل؟.

عندما وصلوا لم تتوقع أبداً رؤية منزل بهذه الروعة والجمال مصنوع من الأحجار البيضاء الضخمة والقرميد الاحمر يلمع على سقفه وأطراف النوافذ وطلاءه لامع كأنه قد دهن للتو. هذا كان منزل جيم، المكان الذي أنكره عليها والآن ها هي قد أتت إلى هنا لكن كدخيلة...

اقترب الصبي نحوهما مسرعاً.

«أوه ربيدرو» حيّت تيريزا الصبي بودّ.

- ٤ -

ثم توقفتا حين اقتربت منهما إمرأة سمينة بعض الشيء وشعرها الأسود الطويل مربوط خلف رقبتها وعينيها السوداوين تضحكان لتيريزا. حيت تيريزا بحرارة قبل أن تلتفت بفضول إلى ميرندا.

«هذه سانشا» قالت تيريزا «هل ما تدعونها، مدبرة منزل نعم؟ لقد كانت معي منذ كان جيم طفلاً» واستدارت نحو المرأة وتابعت «سانشا، السينيورا هي زوجة جيم».

ولدهشة ميرندا وارتباكها اطلقت سانشا صرخة صغيرة قبل أن تفتح ذراعيها وتأخذها في حضنها طابعة قبلة دافئة على وجنتيها ومحدقة بها بتعجب.

«سينيورا جيم» قالت بعاطفة واضحة.

عرفت ميرندا ما يعني هذا مع أنها كانت تشكك أنها تبدو حقاً جميلة بشحوبها وارهاقها من الرحلة وتدبرت أن ترد التحية بأحسن

www.elromancia.com

حالة. ومع أن سانشا افلتتها إلا أنها ظلت تحدق بها بإعجب واضح جداً.

«كنا جميعاً حزينين كثيراً حين اختار جيم أن يتزوج من انكلترا» قالت تيريزا بهدوء وبدون أن تدري تزيد انزعاج ميرندا «وحين أخبرنا أن زوجته لا ترغب بالمجيء إلى جنوب أميركا...».

تركت الكلمات دون تكملة وتلون وجه ميرندا الشاحب، إذن هذا ما أخبرهم إياه جيم، وماذا أخبرهم ايضاً؟ وكيف فسر حضوره فوراً بعد الزفاف؟.

تبعت ميرندا تيريزا نحو غرفة المكتبة بعد ذهاب سانشا ونهض الرجل الذي كان يجلس خلف المكتب الخشبي الضخم حين دخلا الغرفة. لم يكن طويل القامة ومن الواضح أنه من غير جنسية ميرندا بلون بشرته الغامق قليلاً والشارب الكثيف الذي يتدلى حتى آخر وجهه. لكنه كان واضح الشخصية والاحترام.

«كارلوس! انظر ماذا وجدت!» قالت تيريزا بصوت جذاب وهما يدخلان الغرفة «هل تستطيع التخمين؟».

«ميرندا!» طريقة لفظ كارلوس كارافالو لإسمها كانت جذابة فعلاً «انت هنا أخيراً! هل وجدك جيم؟».

«كلا، انامن وجدها» قالت تيريزا فيما استدار زوجها حول المكتب ليمسك بيد ميرندا ونظر إليها بفضول.

«انت وجدتها؟».

«وصلت ميرندا بسيارة التقينا في سانتا مادلينا».

ظهرت الدهشة على كارلوس للحظة ثم انحنى وقبل يد ميرندا «أهلاً وسهلاً بك في بيتنا ميرندا».

«شكراً» وتأثرت ميرندا بمودته. أنهم جميعاً يعاملونها بلطف ومودة

ولو أنهم لم يفعلوا، فمن السهل إيذاء شخص هو آذاها.

«آسفة إنه علي فرض نفسي عليكما، لكن لا يوجد أي فندق...».

«فندق؟» قاطعها كارلوس باستهجان وهو ينظر نحو زوجته قبل أن يعيد نظره إلى ميرندا «ولماذا تحتاجين لفندق؟ إنت زوجة ابن زوجتي، وجيم هو ابني كما هو ابن تيريزا صدقيني، ومر الطبيعي أن تبقي هنا، معه!».

معه! شعرت ميرندا بهستيريا تكاد تنتزع قلبها وتساءلت ما هو رد فعل جيم إذا سمع هذه الجملة. فهو لن ير الأمر كذلك تماماً وهي لا تريده أن يفعل فبعد كل شيء هي هنا لسبب واحد وهو التخلص من هذا الوضع المستحيل.

«ميرندا كانت مريضة» قالت تيريزا الآن واستفسر زوجها.

«مريضة؟».

«لم يكن أمراً مهماً حقاً» قالت ميرندا بسرعة «انا.. شيء ما تناولته ازعج معدتي، وبقيت في المقهى و...».

«بقيت في المقهى؟» قاطعتها تيريزا بخيبة ولكن تابعت ميرندا لتقول أنها بقيت هناك لليلة واحدة فقط ثم قضت ليلتين في مستشفى تابعة للإرسالية.

«حسناً، انا بأتم صحة الآن» قالت ميرندا بسرعة لتغير ما قد ينتج عن هكذا موضوع وهي كانت تريد فقط الاغتسال والاستلقاء.

وكأنه شعر برغبتها هذه فقد حرك كارلوس بيديه وكأنها كانت تنتظر حركته هذه دخلت سانشا فوراً الغرفة.

«سانشا سترافقك إلى غرفتك» ثم اكمل محدثاً الخادمة بلغتهم ثم قال «حالما يعود جيم فسأرسله لك».

«شكراً لك».

وارتعشت ميرندا لكلماته وكانت سعيدة بالهروب أخيراً.

وحالما تركت الغرفة أضافت تيريزا بسرعة «سنتناول الطعام بعد وقت طويل... طويل جداً، لكنني سآمر الخدم بأن يرسلوا لك بعض الشاي، ستحبين ذلك».

«شكراً لك» قالت ميرندا بحماس وأغلقت الباب خلفها، من غير المجدي التظاهر فبعد ساعات سيعرفون السبب الحقيقي لمجيئها وعندها تعاطفهم سيتبخر، كانت سانشا تمشي أمامها وتنظر إليها كل لحظة نظرات الإعجاب والحب ورغم أن كل ما ارادته ميرندا هو الاغتسال والتحضر للمعضلة الآتية إلا أنها لم تستطع إلا أن تعجب بالجمال الذي كانت تراه حولها.

وحين دخلت غرفتها شهقت فعلاً فالغرفة كانت ضخمة وذات سقف عالي وجدرانها بيضاء وهناك باب زجاجي ضخم يؤدي إلى الشرفة الخاصة، الأثاث والسرير الضخم كانوا من الخشب الأسود وستائر السرير العالية كانت بيضاء وزهرية.

تهاوت ميرندا على السرير فور خروج سانشا واعادت النظر إلى ما حولها كان هناك بابين داخل الغرفة فاسرعت نحوهما لتعرف اين هو الحمام، الباب الأول كان باب لغرفة تغيير الملابس كما يبدو من العديد من الخزائن والسرير الصغير الحديد، والباب الآخر كان للحمام.

ملأت المغطس بالماء الدافئة وخلعت ملابسها وغطست بالمياه كانت قد تركت باب الحمام غير مقفلاً لمعرفتها أن أحداً لن يتجرأ ويفتحه دون أذنها.

لا بد أن المياه المنعشة ورائحة العطر المنتشرة في الحمام إضافة

لإرهاقها وتعبها قد اغرقاها بالنوم، لأنها صحيت بعد بعض الوقت وصوت حاد يطرق آذانها «ميرندا! ميرندا! اين انت؟».

كان الظلام مسيطراً والمياه في المغطس قد اصبحت باردة لكن دون شك هذا كان صوت زوجها، شهقت بدهشة وحاولت الوصول إلى المنشفة والخروج من المغطس في نفس الوقت، انزلقت قدمها على الأرض الرخامية الزلقة لكنها تدبرت إنقاذ نفسها وكانت تلف منشفة خضراء ضخمة حول جسدها حين فُتح الباب وأعمى عينيها الضوء للحظة.

رمشت بعجز مدركة هول هذه اللحظة، مواجهته بعد كل هذا الوقت كان سيئاً بما فيه الكفاية، لكن إمساكها بمجرد منشفة حول جسدها العاري كان أمراً اسوأ من الجحيم. لم تكن أنيقة كنوع المرأة التي يود أن ير. ولو كان عوضاً عن هذا وكما هي العادة معه وضعها في موقف سيء، وكانت شاعرة بقوة بشعرها الرطب وقدميها العاريتين الظاهرتين من تحت المنشفة.

من جهته جيم بدا مختلفاً قليلاً عما تتذكره، كان اكبر سناً طبعاً، وربما اكثر نحفاً قليلاً وكان يرتدي ملابساً لم تراه فيها من قبل أبداً. قميص ازرق داكن مفتوح حتى وسطه ويظهر صدره القوي وبنطاله كان خفيفاً وأسوداً مظهراً عضلات فخذيه القويتين وقدميه الغارقتين داخل حذاء ذا ساق عالية كانت تعطيه منظراً فوقازياً.

لكن لعينيه ووجهه اتجهت نظراتها وحبست أنفاسها للمرارة التي رأسها داخلهما. كان التعبير الساخر الذي اعتادت عليه في ملامحه قد تبخر وحل محله غضب مزدري انعكس داخل اعماق عينيه الداكنتين، توجهه نحوها كان متعجرفاً وعدائي لكنها ادركت أن عليها ألا تضعف بسبب هذا.

فتحت فمها لتحتج على إجتياحه لخلوتها لكن كلماته سبقتها.

«ماذا بحق الجحيم تفعلين هنا في الظلام؟ تحاولين إغراق نفسك؟».

شهقت ميرندا «كلا».

أشار إلى كبسة الضوء على الحائط قربه «هذا هو مفتاح الضوء كما تعرفين، ليس جرساً».

«اعرف ذلك» قالت بقوة «لكن هل هذه طريقة لائقة بالتصرف؟ إذا كان من الواجب أن تعرف فقد استرسلت بالنوم وانا في المغطس! ما المشكلة العظيمة في هذا؟» وشدت أطراف المنشفة حول جسدها ورفعت رأسها «يا لها من طريقة لإلقاء التحية على أي أحد».

تقلصت عيناه وهو يقترب منها بتقدير فاحص «إلقاء التحية على أي أحد؟ لإلقاء التحية عليك تقصدين؟ يا زوجتي» وتحركت عيناه إليها «ماذا تريدينني أن افعل؟ أن اقبلك؟».

فذعرت ميرندا وقالت ببرود «آه لا، لا، لا اريد ذلك، ليس منك».

«لماذا ليس مني؟» سأل وصوته منخفض وخبيث «نعم، لماذا ليس مني؟ لقد انتظرت طويلاً محاولة اكتشافك، الله يعلم، لربما هذه هي اللحظة المناسبة».

«لا تلمسني...» بدأت متراجعة خطوة إلى الوراء لتتوقف على جانب المغطس ومبتسماً بشيطانية وخبث اقترب جيم منها.

غرقت يديه بلحم كتفيها الطريتين وهو يضغط بقوة عليها بمتعة سادية. صارعته ميرندا لكن قدميها كانتا عاريتين ولم تكن تملك أي سلاح تقاوم به، وتصورت صورة لمارك داخل عقلها وزادت الرعب داخلها وادركت اكثر كيف أنها بمجيئها إلى هنا فقد وضعت نفسها

تحت رحمة هذا الرجل. من سيساعدها هنا؟ من باستطاعته مساعدتها في أي مكان؟.

مفلتة إحدى يديها الممسكتين بالمنشفة حاربت لتصل إلى وجهه متشوقة لتغرز أظافرها في جلده وخديه لتسيل الدماء منه بسبب الدماء الأخرى التي كان يشعلها بها، لكن الأمر كان دون فائدة، فكرت بمرارة، فقد قربها هو اكثر منه وجعلها غصباً عنها تشعر بقوة جسده وصلابته عبر قميصه العاري الصدر، هل كل الرجال هكذا، تساءلت يرغبون فقط باشباع شهواتهم الجسدية دون التفكير بمدى تجاوب أو رغبة المرأة في فعل هذا؟ ملامح مارك المشوشة ظهرت أمامها مجدداً وذراعيه قاسيتين حولها مجبراً إياها على الاستلقاء على الأرض وشفاهه الرطبة تقترب منها.

لكن يدا جيم هما اللتان كانتا حول عنقها الآن مجبراً إياها على ادارة وجهها نحوه ادركت بشبه إغماء واغمضت عينيها عن رؤية النظرة الراغبة التي كانت متأكدة أنها ستراها داخل عينيه، آه، يا الله! صلّت بيأس كي يتوقف...

لكن حينها غطى فمه شفاهها وانتظرت بيأس النفور الذي لا شك سيعتريها.

لربما لو أن قبلته كانت بنفس عدائية كلماته لكانت ردة فعلها مختلفة فكرت بعد لحظة، لكنها لم تكن كذلك، فمه كان لطيفاً. ناعماً شاقاً شفاهها دون عناء ومحركاً تجاوباً عميقاً داخلها. ودون وعي منها لم تعد قبضتها تشد على صدره لتبعده عنها بل استرخت يدها وأخذت تلامس العضلات القوية والبشرة الصلبة. نسيت المنشفة فيما كانت شفاهه لا تزال على فمها بنعومة وإثارة حتى بشوق عنفت نفسها عليه لاحقاً رفعت كلتا يديها لتعانقه، وبيديها خلف رأسه

شعرت بتصلب وزيادة في حرارة قبلته.

سمعت الضحكة الهازئة ترتفع داخل حنجرته، سمعتها وكرهته لهذا. كان فقط يتلاعب بها فكرت بمرارة، كان يمتع نفسه بها مكتشفاً إلى أي بعد ستصل. وهي تركته يفعل هذا! هل التي حتى هذه اللحظة، لم ترحب بلمسة أي رجل من قبل، لماذا عليها دائماً أن تعرض لنفسها لتكون صغيرة. لتكون موضع سخرية هذا الرجل واستهزائه؟ هل كانت تتصرف كأنها زوجة ملهوفة للقيام بواجبات هذا الزواج! لا بد أنها كانت مجنونة لتظن أنه سيتغير يوماً عن كونه القاسي المتهكم كما كان وسيظل دائماً.

صارعت لتحرر نفسها ولأنه لم يكن يتوقع نهائياً هذا، جيم أفلتها وابتعدت قليلاً عنه مع أن الهور في تصرفها هذا جعل المنشفة التي كانت بينهما تسقط على الأرض، شهقت ميرندا بكل ارتباك ورعب العالم ويديها تلتفان سريعاً حول جسدها العاري تماماً، فيما كان هو يراقبها بتعبير هازىء حل محل برود المفاجىء الذي كان سابقاً.

«لا تخجلي!» قال بتكاسل «فلديك جسد جميل... ويصح للرجل أن ينظر إلى زوجته، اليس كذلك؟ انا اعطيك الإذن بالنظر الي متى شئت».

احترقت خداها من الخجل «انت مثير للقرف» اعلنت بغضب مثير ضحكته «وانا لست زوجتك».

تقلصت عيناه «لكنك كذلك إيتها الصغيرة، لا تخطئي بهذا الأمر، لقد أخبرتك مرة... أن زواجنا هو أبدي. وانا اعني ما قلته».

جمعت ميرندا قبضتيها وشعور بالغضب يتملكها وبشهامة ساخرة إنحنى جيم ليتناول المنشفة عن الأرض، نظرت إلى الأسفل نحو رأسه المنحني واجتاحتها رغبة غريبة وقبل أن تفكر هوت بقبضتيها

على كتفيه دافعة إياه على الجهتين وجاعلة إياه يفقد توازنه. حاول للحظة أن يستعيد توازنه والعيون التي رفعها نحوها عكست ذهوله، ثم بصوت قوي سقط داخل الحوض مرسلاً رذاذاً من الماء بلل ساقيها.

كانت لحظة رهيبة وحالما سقط في الماء ادركت ميرندا عظم جريمتها لكن نوع من التصلب أبقاها مكانها جامدة بدون حراك.

صعد إلى السطح بحركة بطيئة كما شعرت. مبعداً الشعر الذي غطى عينيه والمياه تنساب من رأسه وكتفيه، نظرت عيناه فوراً إليها وهما تلمعان بغضب هائل لم تراه من قبل. وكان هذا كافياً ليعيدها لرشدها وعاد عقلها للعمل فانحنت وتناولت المنشفة التي اصبحت نصف مبتلة عن الأرض وركضت نحو غرفة النوم وتوقف بذهول حين وجدت في الغرفة إحدى الفتيات الخادمات التي كانت ترتب ملابسها داخل الخزائن».

ماذا سيفعل الآن؟ تساءلت حين سمعت صوت جيم الخارج من المغطس ونظرت نحو الخادمة بشبه توسل متمنية لو أنها كانت تفهم لغتها.

«مساء الخير سينيورا» قالت الفتاة بابتسام وملقية نظرة مضطربة وراء كتفيها، ميرندا تدبرت أمر الابتسامة.

«مساء الخير» قالت وتابعت الفتاة عملها وهي تنطق بعض الكلمات بسرعة لم تفهم ميرندا منها شيئاً إلا حين ارتفع نظر الفتاة وارتسمت الدهشة على فمها الذي تكور كالدائرة.

لم تقاوم ميرندا أن تنظر إلى نفس الجهة وعضت لسانها بين أسنانها حين رأت زوجها. كان قد خلع قميصه المبتل مظهراً قسمه الأعلى العاري ولكن بنطاله المبلل كان لا يزال مكانه وملتصقاً به كجلد آخر. رؤيتها له أثار فيها مشاعر وأحاسيس لم ولا ترغب

بمعرفتها ودفعت عنها بقوة المشاعر والرغبات الغريزية التي اجتاحتها بكل ذرة في كيانها.

الصمت الذي سيطر على الغرفة بعد رحيل أيلينا كان قاتلاً وأجبرت ميرندا نفسها على النظر نحوه فهي عاجلاً أم آجلاً ستفعل هذا وستتلقى العقاب الذي سيصل إليه. لكن لخيبة أملها تجاهلها هو وتحرك نحو غرفة الملابس بحذائه الممتلىء ماءاً. ظلت وحيدة في الغرفة بانتظار ما سيحدث وكتفيها تهدلتا من الترقب، لو لم يكن الوضع مرعباً لكان مرحاً جداً وموجة هستيريا ارتفعت داخلها اسكتتها فوراً وبقوة، لقد تأخر العقاب للحظات الآن لكن الأمر يعود لها لتتأكد من أن هذه اللحظة لن تأتي ابداً. الشيء المزعج جداً الآن هو اكتشافها أن جيم كما يبدو يستعمل هذه الغرفة كغرفته الخاصة ولا شك الخزانة داخل تلك الغرفة تحتوي اشياؤه! ملابسه! هل من الممكن أن تكون هذه الغرفة له ولها؟ وبهذه الفكرة الرهيبة استدارت لتنظر إلى السرير، لقد كان ضخماً ويتسع للعديد من الأشخاص وكذلك كان الحمام من الواضح إنها لم تبنى لتكون غرفة لشخص واحد فقط.

لكن لا؟ ماذا ستفعل الآن كيف ستطلب من والدته أن تهيء لها غرفة أخرى دون أن تضطر لإخبارها الحقيقة كاملة...

كادت الدموع تطفر من عينيهاوقالت يا ليتها اصطحبت بول معها لانفتح الستار عن هذا الوضع الغامض منذ البداية.

كانت لا تزال واقفة مكانها ترتجف قليلاً حين خرج جيم من غرفة الملابس، كان قد خلع ثيابه المبتلة وارتدى روب استحمام ازرق اللون وللحظة عادت كل مشاعرها السابقة لتقضي أفكارها.

«لا تكوني مرعوبة هكذا» قال ببرود «انا ذاهب لاستحم فقط، فانا

غير معتاد على الاستحمام بمياه شخص آخر».

رطبت ميرندا شفتيها الجافتين «انت.. انت تستحق هذا».

«وانت ماذا تستحقين انا اتساءل؟» قال بقسوة «تأتين إلى هنا! دون دعوة؟».

«قالت والدتك انني على الرحب والسعة» احتجت بدفاع لكنه كان قد دخل غرفة الحمام ثم سمعت صوت الدوش.

تناولت ملابسها ودخلت إلى غرفة الملابس لترتديها وهي تصلي أن تنتهي قبل خروج جيم من الحمام، جففت جسدها جيداً وسرحت شعرها ثم خرجت ووقفت أمام المرآة لتتأكد من مظهرها. حين شعرت بأنها مراقبة وحين استدارت وجدت أن جيم قد فتح باب الحمام ووقف هناك بانتظار أن تراه، احمرت وجنتاها ولكنها لم تبتعد عن المرآة كما ظنت أنه يتوقعها أن تفعل فمشى هو بتكاسل نحوها.

«لا تدعيني اقاطعك» قال بتهكم وواجهته بكل الثقة التي استطاعت أن تجمعها.

«لن افعل» قالت ببرود «لكن ربما بإمكانك أن تخبرني إذا كان والداك يرتدون ملابسهم للعشاء».

«وهل تسمين هذه ملابساً؟» سألهاوأصابعه تنزلق على ياقة الرداء المنخفضة فابتعدت عنه بغضب.

«لقد ارتديت هذا الطقم لمناسبات اكثر رسمية من تناول عشاءاً عائلياً» قالت بغضب وهي تدرك بأسى كمن كان سهلاً عليه سرقة ثقتها منها «هل ستنزل وانت هكذا؟».

نظر إلى قميصه الغير مزرر حتى وسطه وأكمامه المرفوعة قليلاً وإلى بنطاله الكريم كالقميص وإلى قدميه العاريتين.

«ألا تظنين أن ثيابي مناسبة؟» سألها وأحست ميرندا أن الأمور

تفلت من يديها.

«انا حقاً لا اكترث بطريقة ارتدائك للملابس» قالت وعن عمد جلست على الكرسي أمام المرآة ومدت يدها لتتناول علبة التجميل.

وبتنهد أنحنى بجانبها واضعاً إحدى يديه على الطاولة أمامها ومعلقاً الأخرى على طرف جيبة بنطاله. وكان وجهه قريباً جداً منها وجمدت نفسها حتى لا تبتعد.

«هناك شيء واحد فقط...» تمتم ونبرته ناعمة خادعة «كم ستستغرقين من الوقت بعد حتى تخبريني عن سبب مجيئك إلى هنا؟».

وضعت ميرندا ريشة الظلال من يدها وتمتمت «انا... انا بالكاد كان عندي وقت اليس كذلك؟».

«ربما لا» قال بنفس لهجتها «لكن الوقت لك الآن، انا متشوق لأعرف لماذا بعد قيامك بالرحلة إلى هنا... انت تقولين لي انك لست زوجتي؟».

سحبت ميرندا نفساً مهتزاً «ألا تظن.... ألا تظن أن علينا... علينا الانتظار؟ حتى وقت لاحق؟».

«لماذا؟» قال دون أن يتحرك وشعرت أن نفسها يكاد يتقطع.

«انا... حسناً، هذا ليس... لا يوجد لدينا الوقت للحديث الآن».

«يا إلهي! فعلاً» قال بقسوة «لكن دعينا نوضح أمراً واحداً الآن وهنا، لن يكون هناك أي إبطال لهذا الزواج اتفهمين؟ ولا أي شيء من أي نوع».

العشاء كان قد قُدم في غرفة مائدة كبيرة تطل على شرفة واسعة تتهدل أوراق الاشجار والنباتات منها وحولها ورائحة زهرة القاغونيا

تعطر الجو برائحة رائعة. جيم ترك ميرندا تجد طريقها وحدها إلى الطابق السفلي بعد ان رمى بقراره وبساقين مهتزين وصلت ميرندا إلى حيث كانت تيريزا وكارلوس وبالإضافة لجيم كان هناك زوجين من الأشخاص يشاركونهم المائدة.

«اسمحي لي أن اقدم لك ابنتنا الصغرى، جوليا وخطيبها ميغيل سانتانا» قال كارلوس حين اقتربت ميرندا ونظر إليها نظرة إعجاب «جوليا، ميغيل هذه هي ميرندا».

شقيقة جيم كانت مثله فكرت ميرندا. شعر داكن، عيون داكنة بنفس الأنف الشامخ، والفم الجميل، خمنت أنها في اوائل العشرينات كعمرها لكن جوليا كانت تبدو اكبر سناً.

حيّت جوليا ميرندا دون حماس ثم وبسبب ابتسامة كارلوس المقصودة طبعت قبلتين على خديها.

«مساء الخير ميرندا» قالت بأدب «انت لست كما توقعتك بتاتاً».

غير واثقة إن كان هذا مديحاً أم ذماً تدبرت ميرندا ابتسامة مؤدبة بدورها قبل أن تصافح ميغيل. هو بعكس خطيبته أطال اكثر من اللازم التحية جاعلاً ميرندا مدركة لتصلب ملامح جيم وهو يراقبهما.

«أخبرنا جيم انك اتيت بالسيارة من ريو» قالت جوليا وهي تتقدم لتقف بجانبها وعينيها تنظران بنقد إلى اكتاف ميرندا الظاهرة من ثوبها.

طأطأت رأسها وقالت «نعم، لقد استأجرت سيارة بسائق، لم اثق بقدرتي على القيادة إلى هنا بنفسي و... وعلى... هكذا طرقات».

خفّ صوتها في نهاية جملتها مدركة أن جوليا قد تنزعج من انتقاداتها لطرقات بلدها وقد صح ما أدركته.

ارتاحت اساريرها حين وصل كارلو وأمسك بيدها مانعاً جيم من أي

رد كان ينوي قوله.

«تعالي» قال كارلو «لقد تم تجهيزالعشاء، واسمحي لي بشرف مرافقة زوجة ابني إلى المائدة».

لم تشعر ميرندا بهكذا انزعاج من جراء اختيار كارلو لكلمته وخاصة أنها كانت تعرف أن جيم الذي يمشي وراءها يسمع كل شيء، غداً قالت لنفسها بقوة، غداً ستتكلم مع كارلو وتيريزا، ستقول لهم بالضبط سبب مجيئها إلى مونت بارازيو.

أصوات بعض الرجال ايقظتها، رجال تنادي على بعضها والأصوات الأقل عدائية للمواشي وهي تسير بأجراسها المهتزة. غير قادرة على مقاومة فضولها دفعت ميرندا الغطاء عنها ومشت بأقدام عارية نحو النافذة. وجدت عددا من الغاوشوس يسوقون قطيعاً كبيراً من الابقاء ويتحدثون مع بعضهم البعض ويتضاحكون وكان معهم رجلاً لم تراه من قبل يبدو من طريقة حركته أنه المدير أو المسؤول. كان يرتدي كثياب جيم في الأمسية التي اندفع بها إلى الحمام.

وتفكيرها بهذا جعلها تتذكر جيم ورطبت شفتيها بلسانها حين تذكرت ما حصل مساء البارحة.

فالعشاء قد انتهى سريعاً وجلسوا جميعاً بعد العشاء في الصالة وهي غرفة واسعة كغرفة الجلوس وكباقي غرف المنزل جدرانها بيضاء. اتجهت جوليا إلى البيانو وأخذت تعزف فيما كانت والدتها تقدم القهوة، حاولت ميرندا الاستمتاع بالموسيقى والاسترخاء على الكنبة المخملية وهي تحتسي قهوتها وتنظر حولها.

كان هناك نافذة كبيرة للغرفة مرآة ضخمة وخزانة كبيرة تحتوي على الكثير من التحف والأواني الرائعة التي ارادت ميرندا أن تتفحصها عن قرب لكن خجلها وشعورها بالتظاهر بعكس الحقيقة ابقياها مكانها.

كان الفضل لميغيل في جذب انتباه جيم معظم السهرة وتشاغلهما معاً بالأحاديث وكانا يتكآن على الحافة قرب الموقدة ويحتسيان الشراب.

المناقشات لاحقاً تناولت مختلف المواضيع وكانت ميرندا تشارك بارتياح في أي مواضيع عامة عن المواصلات وريو ولكن حين تحولت المواضيع إلى حساسة وخاصة بها وبجيم تحججت بالتوسع بها بقولها أنها تشعر بالتعب وهي كانت كذلك حقاً.

فاعتذرت تيريزا عنها ولسوء الحظ اعتذرت من الحاضرين لجيم ايضاً معلنة مودة بينهما تمنت ميرندا لو تتحاشاها. وهكذا فقد رافقها جيم إلى الطابق العلوي لكن حين وصلت إلى باب الغرفة... التي بصعوبة تعتبرها غرفتها... توقفت واستدارت لتواجهه. خطا جيم قبلها وفتح الباب ثم دفعها إلى الداخل. محتجة بصمت ميرندا تقدمت ميرندا إلى قرب السرير واغلق جيم الباب وراءه قبل أن يقول بحدة «كوني متعقلة لإبقاء مجادلاتك داخل الأبواب المغلقة. هذه ليست انكلترا وهنا ليس القصر».

«صدق هذا أو لا، لكنني قد لاحظت ذلك» قالت والغضب للحظات يسيطر على أعصابها «هلا خرجت من هنا من فضلك؟».

نظر إليها ببرود «ولماذا افعل؟ هذه هي غرفتي».

«هذا مستحيل...».

«اؤكد لك ذلك» قال وهو يفتح باب الخزانة بقوة «ثيابي هي هنا، هل تشكين بكلامي».

«لكن... لكن كيف...».

«من الطبيعي أنه حين عرفت والدتي بقدومك قامت بالترتيبات لك لتشاركيني غرفتي، ما هو الغريب في هذا؟ نحن متزوجان كما لا انفك عن تذكيرك».

«لكن... لكن نحن لم نعيش سوياً أبداً...».

«هي لا تعرف ذلك».

«نحن لم نر بعضنا منذ أربع سنوات».

«هل لا تعرف هذا ايضاً».

«ماذا تقصد؟» وارتبكت ميرندا.

«هل تتصورين انني امضيت السنوات الأربعة السابقة في البرازيل؟» والتوى فمه «لقد زرت انكلترا عدة مرات في الواقع، وحتى أنني رأيتك... ولو من مسافة بعيدة».

«ماذا؟» حدقت ميرندا به بدهشة «هل تقصد... انك... انك».

«اقصد أن والدتي تعتقد أن زواجنا كان عادياً، إن رفضك المجيء للعيش في البرازيل...».

«رفضي؟».

«... مسؤول عن افتراقنا لبعض الوقت. وهي ترى مجيئك إلى هنا الآن كدليل وتأكيد انك لم تعودي قادرة على العيش بعيداً عني مجدداً».

وكادت ميرندا تشعر بالدوار، أن هذا لكثير، أولاً متاعب الرحلة ثم محادثتها مع زوجها والآن هذا! شعرت بالاعياء والارهاق واتكأت على عامود السرير لتتماسك.

«يجب... يجب أن تخبرها بالحقيقة» قالت وعيناها الجاحظتين تحدقان به.

«لا اعتقد هذا» قال بصلابة «والآن استطيع أن ار انك حقاً تعبة. كنت سأفحصك طبياً لكني لا اظن أن هذا ضرورياً هذه الليلة، ساعات طويلة من النوم ستكون ذا فائدة كبيرة وسيكون أمامك الوقت الكافي لتتعافين».

«انا... انا لن ابقى هنا» قالت بصوت مهتز «لا تستطيع أن تجبرني».

«لا تكوني طفولية» قال بحزم وهو يتجه نحو الباب وحدقت به ميرندا بعجز.

«إلى اين انت ذاهب؟».

«سأنام في مكان آخر هذه الليلة» أخبرها بابتسامة باردة «انا لست بدون إحساس حتى افرض نفسي على إمرأة مرهقة».

«الست كذلك؟» سألته وتلقت تصلباً في فكه.

«لا تجربي حظك معي ميرندا» نصحها بهدوء «وإلا فسأغير رأيي».

ظلت صامتة حينها متذكرة المشاعر التي أثارها بها قبل بعض الوقت. لا تريد أن تتذكر اللهفة التي استجابت بها له أو نتائج ما كان سيحصل لو لم يجد تجاوبها هذا مسلياً.

لكنه بالتأكيد لا يعني ما قاله الآن؟ هل والدته لا تعرف حقاً ظروف وملابسات زواجهم الإسمي هذا؟ الم تعتبر زوجة ابنها المتسلقة الاجتماعية التي يعتبرها جيم أنها؟ هل هذا هو السبب الذي بالرغم من منعها من المجيء إلى هنا فقد قرر أن عليها أن تبق؟.

«ساقول لك تصبحين على خير الآن» كان جيم يقول الآن وهو يمسك قبضة الباب بيده واتجهت عيناها دون مقاومة إلى الطريقة التي تحركت بها عضلات كتفه تحت قميصه الرقيق، ثم مدركة أن عيناه لاحظتا نظرتها اخفضت عينيها إلى أصابع قدمها حتى سمعت الباب يغلق وراءه. لكن حين اسرعت إلى الباب وجدته بدون مفتاح فخلعت ملابسها واسرعت إلى السرير وهي تشعر بعدم الأمان منه.

لكن ها هو الصباح قد أتى الآن والشمس كانت تتسلل عبر النافذة اسرعت إلى الحمام حيث اغتسلت وارتدت جينزاً بنفسجياً وكنزة

فاتحة اللون بدون اكمام ونظرت إلى ساعتها وشهقت. إنها السادسة والنصف. السادسة والنصف! هي لا تتذكر أبداً أنها استيقظت بمثل هذا الوقت الباكر طوال حياتها إلا يوم عيد ميلادها العاشر... لكنها لا ترغب بالتفكير بهذا الآن.

سرحت شعرها حتى التمعت نهاية أطرافه وشعرت بارتياح أن صحتها على أحسن ما يكون هذا الصباح.

غير قادرة على الصبر والشمس مشرقة وعالم جديد ينتظرها لتكتشفه أخذت ميرندا تخطو بعد ارتياح داخل الغرفة، هي لا تعرف شيئاً عن ترتيبات الفطور هنا في القصر هناك كانوا يقدمون الفطور في غرفة الضيوف وارتاعت حين فكرت كم سيكون عليها الانتظار قبل مجيء أحدهم لأيقاظها، جيم دون شك سيعتقد أنها ستستيقظ متأخرة بسبب رحلتها البارحة لكن عقلها كان نشيطاً جداً، الآن كانت تضع كل أفكارها حول علاقتها بجيم بعيداً وتركز على الإثارة التي تنتظرها خارج جدران المنزل.

للحظة فتحت باب غرفة الملابس خاطراً ببالها أن تتأكد من ادعاء جيم أن الغرفة هي له ثم توقفت كالصخرة حين رأت المنظر في الداخل، جيم كان نائماً على السرير الصغير فوق الغطاء الرقيق الذي يغطي أسفل السرير الحديدي وإحدى يديه البنية ممتدة بتكاسل نحو الأرض.

وارتفعت يدا ميرندا لا ارادياً إلى وجهها لم يسبق لها ورأت زوجها بهذه الحالة، وكان وهو نائماً يبدو مختلفاً عن الرجل المتهكم القاسي الذي تعرفه بل بدا اصغر سناً ولطيفاً ومسالماً بشعره الذي كان مبعثراً على وجهه بجاذبية وإثارة. كان الغطاء فوقه يغطي نصفه تقريباً، وتساءلت ميرندا كيف يكون مشاركة الفراش مع الرجل! ليس هذا

الرجل سارعت بالقول بل أي رجل، بول على سبيل المثال، حتى هذه اللحظة كانت قد رأت الأكثر من جسد بول مما رأيته من زوجها فقد ذهبا للسباحة لعدة مرات سوياً وكان لباس البحر الخاص ببول يخفي القليل جداً من جسده لكنها مع هذا الرجل بالذات أي جيم تشعر بالجاذبية الجسدية الرجولية المنبعثة من ثنايا جسده ومن كل شيء به.

بتنفس مهتز تراجعت ميرندا ببطء واغلقت الباب بهدوء وسرعة وراءها لا يجب أن يعرف جيم أنها حدقت به هكذا.

حتى وهذه الأفكار تجول في فكرها قاطعتها أفكار اكثر ازعاجاً. كيف دخل جيم إلى هذه الغرفة؟ هل هناك باب آخر يوصله إليها؟ أم... أم هل هو دخل عبر باب غرفة النوم أثناء نومها؟ وشعرت أن عليها الانتباه لرداء النوم الذي ستنام به لاحقاً.

عادت للتركيز على اكتشاف ما في الخارج وفتحت الباب ونزلت على السلالم لتجد إحدى الخادمات رغم هذه الساعة المبكرة كانت تنظف سجاد السلالم وتدندن لحناً لنفسها بصوت هامس.

نهضت الفتاة فوراً حين رأت ميرندا وحيتها بخجل بكلمات لم تفهمها.

لأنها لم تفهم شيئاً اقتربت ميرندا خطوتين وسألت الفتاة بأمل «هل تتكلمين الانكليزية؟».

«آه، الانكليزية!» هزت الفتاة رأسها «القليل سنيورا».

نطقت الكلمة بلكنة خاصة وجدتها ميرندا ممتعة وسألت «ما هو إسمك؟».

«شيكيتا، سينيورا... ترغبين ب... بشيء».

رددت ميرندا بحذر بسبب صعوبة فهمها لها.

قطبت شيكيتا قليلاً ثم التمعت عيناها فجأة وأخذت تؤشر لميرندا بأنها تمضغ شيئاً وتشرب شيئاً.

فضحكت ميرندا وقالت «تقصدين الإفطار» وابتسمت شيكيتا بارتياح.

تنهدت ميرندا مدركة أن الأمر سيكون اكثر صعوبة مما تصورت ثم اختارت كلماتها بعناية وسألت «اين تتناول السينيورا كارفالو إفطارها؟».

«انت، سينيورا» وظهر الارتباك على شيكيتا مجدداً.

«كلا» هزت رأسها «ليس انا بل سينيورا كارفالو».

«انت هي سينيورا كارفالو» احتجت شيكيتا بانزعاج وتذكرت ميرندا فجأة ما قالته لها تيريزا البارحة.

جامعة يديها معاً حاولت مجدداً «اقصد سينيورا تيريزا» وفهمت شيكيتا أخيراً.

«سينيورا تيريزا... لا... لا تأكل إفطار كلا؟ هي تشرب كهوة».

- ٥ -

«كهوة؟» قالت ميرندا بتعجب «آه تقصدين قهوة حسناً باستطاعتي انا تناول القهوة ايضاً».

«تريدين كهوة سينيورا؟».

«نعم من فضل».

«حسناً، عن إذنك سينيورا».

«شكراً».

وسارعت شيكيتا بالتوجه نحو المطبخ واكدت ميرندا سيرها نحو الشرفة، تعلم اللغة سيكون أمراً ضرورياً في حالة الإقامة المطولة هنا فكرت ميرندا لكنه والحمد لله لن تطيل إقامتها هنا. كانت تقف قرب النافذة المفتوحة تتأمل الجمال الطبيعي الساحر والشمس ترتفع تدريجياً فوق قمم الجبال ورائحة المياه من النهر القريب ترطب الأجواء والهواء المنعش يبعث على الابتهاج حين سمعت صوت

www.elromancia.com

خطوات ترطب الأجواء والهواء المنعش يبعث على الابتهاج حين سمعت صوت خطوات خلفها وارتاحت حين رأت كارلو وحده يقترب منها.

«انت تستيقظين باكراً ميرندا» حياها بحرارة ثم اظهرت عينيه القلق «ألم تنامي جيداً؟».

«بلى لقد نمت جيداً جداً شكراً» طمأنته بسرعة «وأشعر انني بأتم خير هذا الصباح لكن... حسناً... لقد سمعت بعض الأصوات في الخارج ولم استطع الانتظار لأرى ما يجري».

«الغاوشوس!» قال كارلوس فوراً «نسيت ان شقة جيم هي فوق المراعي مباشرة، انا آسف، فهو طبعاً معتاد على ذلك».

حاولت ميرندا إظهار عدم أكتراثها لكنها تذكرت أنهم يعتقدونها وجيم يعيشن كزوج وزوجة فقالت «انا... نحن... جيم لا يزال نائماً».

نظر إليها كارلو نظرة ذات مغزى وقال «نائماً؟ لا بد أنه متعباً أيه؟ فهو عادة يستيقظ باكراً».

شعرت ميرندا بالارتباك حقاً الآن ولتخفي مشاعرها استدارت مجدداً نحو الجبال مستفسرة عن القمم.

وأخذ كارلو يشرح لها ما تريد معرفته وشعرت بالارتياح حين وصلت شيكيتا بالقهوة.

«جيد سينيورا؟» سألت مظهرة معرفتها بالانكليزية لسيدها الذي ربت بمحبة على كتفها فخرجت والابتسامة تلون وجهها.

كان على الصينية فنجانان من القهوة إضافة إلى الركوة والسكر والكريم، لا شك أن شيكيتا توقعت أن تأخذ ميرندا الصينية إلى غرفة النوم حيث تشربها مع جيم، لكن ميرندا لم ترغب بالصعود إلى

الغرفة إلا بعد انتهاء جيم من ارتداء ملابسه ولهذا، فقد نظرت إلى كارلو قائلة «هل... هل تشاركني شرب القهوة؟».

وبعد لحظة تردد وافق كارلو.

قالت بعد قليل «منزلك جميل جداً».

لكن كارلو سارع بالقول أن المنزل ليس ملكه «انت تعرفين أن باتريك نيفيت والد جيم هو الذي يملك المكان هنا اليس كذلك؟».

فأخبرته أنها تعرف القليل في الواقع «العمة ليديا... زوجة ابن عم باتريك... أخبرتني فقط أن والد جيم كان يملك أراضٍ في البرازيل وأنه بعد وفاته تزوجت والدة جيم مجدداً» قالت ميرندا وهي غير راغبة أو مهتمة بالتحدث عن هذه الأمور.

لكن كارلو كان مهتماً بتوضيح الأمور لها فقد قال «انت على حق طبعاً، باتريك يملك فعلاً أراضي وعقارات في البرازيل لكنه توفي حين كان جيم لا يزال ولداً وكان من الواضح أن تيريزا لا تستطيع إدارة كل الأملاك وحدها. وعندها دخلت انا فأرضي تحيط بأرض نيفيت من الجهتين واقترحت شراء الأرض من تيريزا على اساس أنه حين يكبر جيم واراد أن يشتري الأرض فسابيعه إياها مجدداً بنفس السعر الذي اشتريته منه».

«نعم».

«وطبعاً كما تعرفين جيم كان مهتماً بالناس اكثر من اهتمامه بالقطعان والإبقار وبعد زواجنا انا وتيريزا فكرنا أنه عوضاً من ترعرع الأطفال بعيداً في فالمونت حيث كنت أسكن فقد انتقلت انا للعيش هنا. لكن المنزل هذا والأراضي المحيطة مباشرة به هي ملكاً لزوجك».

انزعجت ميرندا حين شعرت ان هذه الأخبار أثارت اهتمامها، فقد

شعرت رغماً عنها بالكبرياء كون إنها كزوجة لجيم لها نفس الحق هنا ككارلو نفسه.

لكن ليس لفترة طويلة قالت لنفسها بإصرار مجبرة نفسها على تذكر بول، تساءلت ماذا عساه يفعل الآن، لقد مضى على رحيلها اكثر من اسبوع ولم ترسل أي رسالة بعد لكن ماذا كانت ستكتب قبل أن تقوم بما أتت لأجله...

«أخبريني عن نفسك» كان كارلو يقول «لقد أخبرنا جيم القليل فقط عنك لكنني أرى أنه قد ابتهج أخيراً لأنك رأيت وجهتك وقررت المجيء إلى هنا أخيراً».

هذه هي فرصتها لكنها ارتعبت «انت لطيف جداً» قالت وداخلياً احتقرت جبنها لعدم مصارحته.

تابع حينها «تيريزا... والدة جيم... ارادته بشوق أن تر ابنها يتزوج، لديه ثلاثة شقيقات كما تعلمين، إثنتان منهما متزوجتان الآن لكنه ابنها الوحيد. انا أملت... كلنا أملنا... حين تزوجنا أن ننجب المزيد من الصبيان» ابتسم «أملنا الكبير الآن هو في حفيد، أجل؟ فلا جوانا ولا جوانتيا تملكان الأطفال وانا اعرف أن تيريزا ستكون في قمة السعادة إذا انجب بكرها أول حفيد للعائلة».

لقد ازداد الوضع سوءاً! لم يخطر ببالها أن الوضع سيتازم اكثر لكنه حصل. الآن هم لا يعتبروها فقط زوجة جيم، بكل معنى الكلمة، بل هم يتوقعونها أن تحمل ابنه ايضاً، كيف باستطاعتها أن تقول لهذا الرجل أنهما لم يتزوجا فعلاً حتى الآن؟ إن هدفها من المجيء هو الحصول على الطلاق وعلى إبطال هذا الزواج لتتمكن من الزواج من رجل آخر؟ ما كان عليها المجيء أصلاً، لثاني مرة ادركت أنها قد ارتكبت خطأ حياتها بالمجيء إلى هنا؟ لكن ماذا كان بوسعها أن تفعل حين لم يكتب لها جيم أي شيء ولا حتى حين ارسلت له تخبره

بموت والدتها؟.

مدركة أن كارلوس كان يراقب حركاتها بدقة تدبرت ميرندا رفع فنجانها ببطء إلى فمها واحتست القهوة أعطاها هذا وقتاً لتفعل شيئاً ما ولتسكت أي جواب كان يتوقعه منها.

«هذه العمة ليديا التي ذكرت» قال كارلو باهتمام «هي قريبة لوالده، كلا؟ انت وجيم على قرابة بعيدة، أجل؟».

«كلا» وضعت ميرندا فنجانها باهتزاز «اعني... حسناً، طبعاً نحن... نحن متزوجين الآن، لكن العمة ليديا... حسناً انا ادعوها العمة ليديا لأنها قريبة جيم».

«آه!» وظهر التفكير على كارلو «كم مضى على تعارفك وجيم قبل أن تقررا الزواج من بعضكما البعض؟».

هذا كان اصعب «انا... نحن... عرفنا بعض منذ سنوات» اعترفت ميرندا بانزعاج «هو... لقد التقينا حين كنت في العاشرة من عمري في الواقع».

«في العاشرة!» ضرب كارلو ساقيه بيديه وضحك متابعاً «حب تلميذ المدرسة كلا؟».

«حسناً، كلا» قالت ميرندا مدركة للبعد المثير الذي يلوّن الحالة لو كانت هذه هي الحقيقة وشعرت برغبة في أن تضحك هي ايضاً لكنها تابعت «أي شيء لكن».

«آه!» تقبل كارلو هذا على ما يبدو فقد انهى ما تبقى من فنجانه ونهض على قدميه «والآن للأسف يجب أن اذهب فهناك أعمال بانتظاري، هل تجيدين ركوب الخيل ميرندا؟».

«نعم لماذا؟» قالت.

«جيد، جيد يجب أن تدعي جيم يرافقك بجولة فهذه الأراضي تظهر بسحرها الحقيقي من على ظهر الجواد».

«شكراً» تمنت ميرندا لو أنها لن تفعل هذا أبداً. فهي لا تنكر إنجذابها وانسحارها بما حولها لكنها لن تجعل هذا الأمر يغريها بالابتعاد عن الهدف الأساسي لرحلتها.

جلست مكانها لبعض الوقت ثم نظرت إلى ساعتها فوجدتها الثامنة. لا شك أن جيم قد نهض الآن وارتدى ملابسه وتستطيع العودة إلى الغرفة الآن. مرت بطريقها بالصالة وسمعت الأصوات في الخارج فانتابتها رغبة في الخروج لكنها عادت وصممت الصعود إلى الغرفة، كلما اسرعت بالانتهاء من هذا الوضع كلما كان احسن كانت قد اصبحت قرب السلالم مباشرة حين فتح باب المنزل ودخلت فتاة، كانت الفتاة معتدلة القامة ممتلئة الجسم وترفع شعرها فوق رأسها كهلال وترتدي ثياب الفروسية بدت كما تخيلت ميرندا كفتيات المجتمع الواثقات اللواتي كانت تراهن في لندن.

ولعدم رغبتها بأن تكون هي من ترحب بهذه الزائرة التي لا تعرفها تقلصت ميرندا واقتربت من اسفل السلالم حتى لا يراها أحدها ولدهشتها وذهولها دخل رجل آخر وراء الفتاة، كان يرتدي ملابس الفروسية لكنه لم يكن يحمل حبلاً مثلها وحين نظرت ميرندا إلى وجهه كادت تشهق، إنه جيم! ولكن كيف نزل من الغرفة؟ ومتى؟ وحين رأى جيم الفتاة حياها ورفع يدها إلى فمه مقبلاً إياها بحرارة. إشعلت النار في شرايين ميرندا التي سارعت بالانزواء والصعود إلى الغرفة بهدوء.

سارعت إلى غرفة الملابس وكما كانت تعرف وجدتها فارغة أخذت تخطو داخل الغرفة وساقيها ترتعش فمن الأسفل كان هو نفسه الرجل الذي أخبرها أنه سيرفض أي إلغاء لزواجهما الرجل الذي ظنت العمة ليديا أنه مهتم بالأمور الروحية اكثر منه بالأمور الجسدي. بالطبع الليلة

الماضية كانت خير دليل على خطأ ظن العمة ليديا فطريقة تقبيله لها طريقة تجاوب جسده لجسدها... كان عليها الإدراك فوراً أنه ليس بناسك وأنه حين يتعلق الأمر بالنساء فهو خير العارفين وهذه المعرفة لا تأتي إلا من الخبرة.

استوقفها انعكاس صورتها في المرآة فتوقفت وأخذت تنظر لفمها المزموم وعينيها اللامعتين! أهذه هي؟ أهذه إمرأة تريد الطلاق؟ إن من يراها يقول أنها إمرأة تشعر بالغيرة؟ الغيرة؟ يا إلهي ما الذي يحصل لها؟ كلا أنها فقط غاضبة، غاضبة منه ومنزعجة من الطريقة التي فكر بأنه يستطيع خداعها بها!.

ونظرت مجدداً إلى المرآة وإلى شكلها الخارجي بالجينز وهذه البلوزة، لا شيء عصري يبدو على محياها الفتاة التي في الأسفل حتى وهي في ثوب الركوب تبدو اكثر عصرية وأناقة منها ولهذا فقد رمت البلوزة في الخزانة وتناولت ثوباً مزهراً من القطن بأكمام حريرية واسعة وقبة مستديرة فوضعته وكانت تبعد البنطال من تحت قدميها حين فُتح الباب.

«ألا تطرق الأبواب أبداً؟» سألت بحدة دافعة الثوب إلى اسفل خصرها وساقيها.

تحركت شفتاه بتسلية وقال «كما بدا انك تفعلين وانت مختبئة بمهارة خلف السلالم منذ لحظات خلت، وتتجسسين...».

«لم اكن اتجسس» قالت فوراً ثم ادركت ما كان يقول «كيف عرفت انني كنت هناك؟».

«كيف كان بإمكاني عدم الشعور بأمواج... التي كانت تنساب نحوي؟» سأل بنبرة خبيثة.

«انت تتخيل الأشياء» قالت له ببرود وهي تتناول الفرشاة وتسرح

شعرها لكن تعابير جيم على المرآة عكست عدم تصديقه، اقترب منها وأخذ الفرشاة من يدها وقبل أن تتحرك بعيداً أخذ هو يسرح لها شعرها بحركات قوية رتيبة.

«اعتقد الآن أن مخيلتك انت تعمل لوقت إضافي في هذه اللحظة» قال بجفاف ويده الأخرى تلمس شعرها خلف الفرشاة منزلقة إلى رقبتها حيث أطراف الشعر ومستغرقة وقتاً أطول بالبقاء هناك.

لم يعد باستطاعة ميرندا تحمل هذا اكثر فابتعدت عنه وهي تعض شفتها العليا وهي تخطف الفرشاة منه.

«شكراً لك، استطيع تدبر أمري لوحدي».

«يجب على الزوج القيام ببعض الأعمال لزوجته» قال واضعاً يديه في جياب بنطاله ووضعت هي الفرشاة على طاولة الزينة بإحباط.

استدارت واتكأت على الخشب وراءها في مواجهته وقالت «إلى متى تنوي الاستمرار بهذه المهزلة؟ متى تنوي إخبار والديك أن زيارتي هذه هي ليست اجتماعية وودية؟».

«اليست هي كذلك؟» كان بارداً بإغاظة «وما بإمكانها أن تكون غير هذا؟».

«جيم، انت تعرف لماذا انا هنا...».

«اعرف لماذا قمت بالرحلة».

«توقف عن التلاعب بالكلمات! انت تعرف ما هو قصدي».

«وقد سمعت رأيي بهذا الشأن» قال وصوته يزداد قسوة «لا تذكريني أن رجلاً آخر قد استغل مكاني ومارس حقوقي معك وإلا سأضطر لإثبات ادعائي».

«ما... ماذا تقصد؟».

«آه، هيا ميرندا، انت لست تلميذة المدرسة البريئة التي تواجه

المدير، انت إمرأة... إمرأتي!».

صكت ميرندا أسنانها لتمنع الشتيمة التي صعدت إلى شفاهها، إذن ماذا لو ظنها هي وبول عاشقين؟ لربما كانت هذه نقطة لصالحها؟.

الآن قالت بغضب «كنت اظن انك ستكون مسروراً بحصولك على حريتك».

«لماذا؟» قال «بسبب ما رأيته قبل بضعة دقائق؟ كنت اتساءل عن مدى تأثر ذلك المشهد الصغير!».

«انت مخطأ تماماً» قالت باختصار مدركة أنه قد ادار الطاولة ضدها مجدداً «إذا ظننت انني اكترث لما تفعله في أوقاتك...».

«ألا تكترثين؟».

«بالطبع لا».

«سأتذكر هذا».

تنهدت ميرندا «آه! لماذا تصر على التصرف كأنك نعامة؟ اريد الحصول على الطلاق... على بطلان الزواج... سمه ما تشاء. وانت لا تستطيع أن تمنعني».

«ألا استطيع؟».

وضعت ميرندا يداً مضطربة على شعرها منزعجة قليلاً بسبب عدم

«جيم ارجوك نحن شخصين بالغين...».

ع تفهم ذلك».

«... إذن لماذا لا تقتنع أن التظاهر بأن الأمور تجري على ما يرام بيننا هو عمل مجدي؟».

«هل فعلت انا هذا؟».

تصلبت عضلات وجه ميرندا وادارت ظهرها له بيأس وهي تهز

www.elromancia.com

رأسها لعدم جدوى حديثهما هذا، وملأت الدموع عينيها لكنها كانت دموع الغضب والإحباط، وحين شعرت بذراعيه حولها فوق كتفيها ادارت رأسها فوراً لترى تعابيره منعكسة على المرآة. التقت عيناهما وتسمرتا وحين جذبها نحوه لم تكن عندها مقاومة. لكنه أحنى رأسه وبدأ يداعب عنقها وأدركت حينها ما كان يفعله.

«لا تلمسني» صرخت مبتعدة عن شفاهه وبهزة من كتفيه تركها ووضع يديه في جيابه.

«حسناً جداً» قال بوضوح واستدار نحو الباب.

وفوراً مشاعر أخرى اجتاحتها وجامعة يديها بقوة معاً قالت «ماذا يجب أن افعل الآن؟».

«الآن؟» سأل وحاجبيه يرتفعان «هل تقصدين الآن في هذه اللحظة بالذات؟ أم الآن بعد أن ادركت انني لن ادعك تفلتين مني؟».

«آه جيم...» لم يكن من طبيعتها أن تكون هكذا والآن بدأ رأسها يؤلمها.

تصلب فمه وهو يراقبها ثم وفجأة قال «إذا رغبت بالعودة إلى الملابس التي كنت ترتديها سابقاً فسآخذك بجولة على ظهر الخيول. لكن ليس بهذا... هذا الشيء».

«هذا هو ثوب من أحدث صيحات الموضة» احتجت ميرندا لكن جيم لم يتأثر بهذا «انا افضل الجينز اكثر» قال «هل تريدين الذهاب أم لا؟».

لم تكن قادرة على الرفض بسبب رغبتها بالخروج ورؤية الطبيعة فقالت «انا... هل... صديقتك ستأتي معنا؟».

فأضاء وجهه فوراً وقال «جوانا؟ لا اعتقد هذا، فهي عندها الكثير ولا شك لتخبره لوالدتها».

«وا... والدتها؟» وتجمدت ميرندا «تقصد أنها... انها...».

«شقيقتي نعم، ألم تلاحظي الشبه؟».

شعرت ميرندا بالارتباك «ولكني رأيتك... رأيتك...».

«انت تتساءلين لماذا قبلتها بتلك الطريقة اليس كذلك؟» اقترح بتكاسل.

«لماذا، لاجعلك تغارين طبعاً، وقد نجحت بهذا اليس كذلك؟».

«كلا!».

نكرت ميرندا ذلك ولكن الابتسامة الخفيفة التي داعبت فمه أخبرتها أن لا فائدة من المجادلة في هذا.

«إهدئي» قال وملامحه تتصلب مجدداً «فانت دون شك اكبر سناً الآن وطبعاً اكثر خبرة. لا شك عندي، لكنك لم تتعلمي بعد أن تخفي مشاعرك ميرندا. أنها كلها واضحة للعيان».

«آه، انت... انت...».

«ساراك في الاسفل» قال وهو يفتح الباب واظهرت أخيراً موافقتها بطأطأة رأسها «على فكرة» أضاف متوقفاً على عتبة الباب وتشنجت هي «في المرة الثانية التي تدخلين بها إلى غرفة نومي باكراً في الصباح حاولي إصدار ضجة اقل، هلا فعلت؟».

وضربت صندلها الباب الذي اغلق وسمعت صوت صفيره وهو ينزل على السلالم.

حين نزلت ميرندا إلى الطابق السفلي مرتدية الجينز ولكن بدلت البلوزة القطنية إلى سويتر قرمزية وجدت زوجها ووالدته ينتظرانها في القاعة، ومعهما كانت الفتاة التي رأتها ميرندا قبل قليل.

«صباح الخير ميرندا» حيتها تيريزا بحرارة طابعة قبلة على خدها «اتمنى انك نمت نوماً هنيئاً».

«نوماً هنيئاً جداً، شكراً لك» تحاشت ميرندا نظرة جيم الهازئة، ونظرت إلى جوانا «مرحباً، انت أخت جيم اليس كذلك؟».

اندهشت جوانا لصراحة التعريف ولكنها اجابت بأدب ملقية نظرة خاصة نحو شقيقها فيما هي تمسك بيد ميرندا.

«كان يجب أن أخبرك أن ميرندا تفضل التعارف السريع» قال بتكاسل «هي ليست معتادة بعد على عاداتنا... التقليدية».

داعبت جوانا اللآلىء التي تحيط برقبتها وقالت «هذا يبدو مألوفاً جيم، هل افسر كلامك على أن المقدمات هذه هي ليست الاختلاف الوحيد بينكما؟».

«وهل قلت أنها كذلك؟» سألت جيم بجفاف وكارهة الشعور بأنهما يتكلمان عنها وكأنها غير موجودة استدارت ميرندا نحو تيريزا.

«لقد تناولت مع القهوة مع السينيور كارفالو هذا الصباح. ارجو انني لم اضيع له وقته».

ربتت تيريزا على كتفيها باطمئنان «عزيزتي، كارلو لا يعتبر أبداً شربه القهوة مع فتاة جميلة مثلك مضيعة للوقت».

«انت لطيفة جداً...».

«نعم، السنا كذلك؟» يد جيم على ظهرها سحبتها فجأة نحو الباب «هيا! سنراكما لاحقاً، إلى اللقاء».

لم يكن أمام ميرندا خيار سوى الذهاب معه واجبرت نفسها على الابتسام لهما مودعة مشت أمامه نحو الباب ولكن حين خرجا التفتت إليه بنفاذ صبر.

«توقف عن معاملتي كطفلة».

«وانت توقفي عن التصرف كطفلة» قال بلطف خادع وعضت شفتها.

«لم افعل».

هز كتفيه وأخذ يمشي نحو الاسطبل وارادت أن تصمت وتتركه يسبقها بخطوة لكنها لم تستطع.

«وماذا فعلت انا؟» سألت ونظر إليها للحظة.

«هذا الركض والتسابق الذي تركضين إليه، هذه الرغبة لديك بتسجيل النقاط...».

«انت تفعل هذا ايضاً» قالت ورفع هو حاجبيه كأنها بما قالت تثبت كلامه «حسناً...» احتجت «انت لا تسهل الأمور عليّ».

«وهل تظنين انك تسهلين الأمور عليّ؟» سألها فأحنت رأسها وركلت الحصى التي كانت أمام قدمها.

كانا قد وصلا إلى الاسطبل ونظرت ميرندا إلى الداخل والإثارة قد سيطرت عليها مبعدة كل مشاعرها الأخرى. كان هناك العديد لتحفظه. العديد من المناظر والأصوات والروائح ارادت أن تخزن كل شيء في ذاكرتها لتعود إليه حيث ترجع إلى ديارها الهادئة اللطيفة.

الاسطبل كان نظيفاً وواسعاً ورائحة العلف والخيول تنبعث منه وكان بداخله رجلاً مسناً حفرت السنوات على وجهه اخاديد. أخذ جيم يتحدث معه ولاحظت ميرندا نظرة الموافقة والإعجاب التي التمعت على وجه الرجل حين نظر إليها ولم تعرف ما الذي همس جيم به للرجل حتى التمعت عيناه فجأة هكذا لكنها شكت أنها هي موضوع التهامس هذا فادارت رأسها عنهما شاعرة بالإهانة.

اختار جيم لميرندا فرساً رمادية هادئة الشكل ببعض الخطوط البيضاء التي تلون حول عينيها وظهرها واختار لنفسه حصاناً بنياً لامعاً يعكس كصاحبه كل الرجولة والقوة الجسدية.

اقتربت ميرندا من الرجل العجوز الذي كان يلاطف الفرس وقالت

بانتباه «أنها فرس جميلة» مبتسمة للكنتها الخاصة.

وبدا الرجل مندهشاً ومبتهجاً ونظر إليها بعرفان لكنها رأت جيم يراقبهما بتعبير اكثر من عادي. ردت نظرتها إليه بتحدي كأنها تقول «حسناً» وادركت حينها أنه سيظن أنها قد عادت لتسجيل النقاط.

قادا الأحصنة إلى الخارج حتى يضعوا عليهم الأسرجة وبعد أن كان الرجل قد وضع السراج حول فرس ميرندا فقد حاولت هي الصعود وحدها على ظهر الفرس محاولة إظهار استقلالها، لكن هذا تسبب بالتواء قدمها قليلاً لكنها نجحت بالصعود فاطلقت صرخة ألم مكتومة ووقفت مكانها.

جيم الذي لم يمتطي حصانه بعد اقترب منها فوراً لكنها تدبرت أمر النظر إلى وجهه الصلب دون أن ترتعش.

«كنت سأحذرك حول ارتفاع ظهر هذا السرج» قال وإحدى يديه تهدئان رقبة الفرس، لكن ميرندا لم تكن في مزاج جيد لتقبل هذه الجملة.

«تقصد الركب اليس كذلك؟» قالت ببرود «ليس عليك استعمال الكلمات المبسطة معي جيم. فانا اعرف بهذه الأمور».

تحرك رأسه بحركة عدم اكتراث ثم انتبهت أنه كان يحمل قبعتين كبيرتين في يده الأخرى ناولها إحداها ورغم شعورها بعدم حاجتها لهذه القبعة إلا أنها تناولتها منه بصمت. فذهب هو امتطى حصانه بسهولة وتقدمها. فارتدت قبعتها وحثت الفرس على المسير.

كانت الفرس بحاجة للتشجيع ومشت بإطاعة خلف حصان جيم. انتظرها جيم عند بوابة الاسطبل لحين وصلت.

قال «اظن اننا سنذهب باتجاه النهر» ووجهه لا يظهر أي عاطفة «لكنها مسافة بعيدة هل انت مستعدة لها؟».

«النهر» قالت «لكنه ليس ببعيد».

«كما تقولين» وافقها وتقدمها.

خلف المنزل كان هناك سوراً من الأشجار وسوراً لما يبدو أنه ملعب للتنس أو الغولف وبعد هذا امتدت المساحات أمامهما.

وشعرت ميرندا أنها قد مشت حوالي خمسة أميال ولما يظهر النهر بعد، كانت تشعر بالحر والعرق والتعب وندمت على ارتدائها هذه السويتر ذات الياقة العالية، فالشمس كانت قد اصبحت حادة وكانت قبعتها على ظهرها تاركة رأسها دون حماية.

كان جيم قد توقف في ظلال أحد الأشجار بانتظارها وحين رآها اقترب منها وثبت لها القبعة على رأسها فتأوهت لأنه قد شد لها شعرها بهذا ونظرت إليه بعينين خضراوين شبه دامعتين. لكنها لم تستطع تحمل نظرته المحدقة ومحركة رأسها نظرت نحو النهر الذي لا يزال يلمع من مسافة بعيدة.

«كم علينا المسير بعد؟» سألت وهي تعطس، فقرب حصانه وجاورها.

«حوالي نصف ميل كما اعتقد» قال ناظراً إليها بتمعن اكبر «لماذا؟ هل المسافة بعيدة عليك؟».

زمت شفتيها بقوة رافضة الإرتقاء إلى طعمه فتابع «ألم يخبرك أحد كيف تبدو المسافات خادعة في البراري الشاسعة مثل هذه؟».

«كان عليك أن تعرف أنها ليست كذلك» قالت باختصار «كان عليك إخباري بهذا».

«ماذا! لا تهم بانني ابسط لك الكلمات مجدداً؟» قال بإغاظة.

«انت تحب تعذيبي اليس كذلك؟» إتهمته بعاطفة مدركة كم أضعفها الركوب لكل هذه المسافة. كان عليها تناول الفطور قبل

مجيئها لأنها شعرت بشبه دوار لكن فات هذا الآن.

«اظن أن علينا أخذ استراحة حين نصل إلى النهر» قال بهدوء واضعاً يده على سرج الفرس مانعاً إياها من التأرجح «تبدين وكأنك تحتاجين لهذا».

لم تشعر ميرندا بالمدح لتلميحاته لها أنها تبدو متوعكة لكنها استراحت حين وجدته يحافظ على مسافة قصيرة بينهما طوال المسافة حتى وصولهما للنهر.

«النغرسكو» قال جيم بدون ضرورة «شريان الحياة لهذا الجزء من البلاد».

«إنه... إنه كبير جداً».

«ككل شيء في هذا المنطقة» قال بجفاف مردداً فكرة طرأت على بالها منذ قليل نظرت ميرندا إليه وقالت «والدتك... والدتك أخبرتني أن هناك مجاري عديدة تصب به».

«هناك العديد وإذا نظرت إلى يمينك فستجدينها».

شهقت «ولكن كيف تصل إليها؟».

«إذا اردت استطيع أن أريك» ونظر جيم بتفكير إليها «تبدين أقل ثباتاً قليلاً، هل انت متأكدة انك بخير؟».

حركت كتفيها بحركة دفاع «انا لست غير قادرة».

«كلا» وافقها «لكن عاجلاً أم آجلاً ستكتشفين انك لا تستطيعي الإهمال بأمورك الصحية هنا».

«لا اتوقع بقائي هنا لكل هذه المدة» قالت محافظة على ثبات صوتها.

«لأذكرك بمثل قديم أقول ما تتوقعينه وما تحصلين عليه هما شيئان مختلفان» قال لها ومدت له لسانها من وراء كتفيه حين استدار وتوجه

نحو الأحصنة.

«ماذا أخبرتك العمة ليديا بالضبط؟» سألته «وماذا أخبرتها انت؟».

جر جيم الأحصنة إلى قرب أحد الصخور المظللة وعاد إليها «اعتقد أن عليك البقاء صامتة لترتاحي «قال وهو يثبت حبل القبعة حول رقبتها وأصابعه تلامس رقبتها.

حافظت على سكونها وقررت ألا تظهر له أبداً تأثير إقترابه أو ملامسته لها فقالت «انا... انا لا اصدق أن العمة ليديا أخبرتك أي شيء» بأنفاس شبه متقطعة، ودفع هو بقبعته إلى ظهره ليحدق بها بعيون متقلصة.

«كلا؟».

«كلا».

«يا لإيمانك بالأشخاص» سخر منها.

«ولماذا تحاول العمة ليديا خلق المشاكل بيننا؟ فهي من حاولت ترتيب زواجنا هذا».

جيم وبنصف ابتسامة، ابتسامة فضولية عارفة اغاظت ميرندا نظر إليها دون أن يقول شيئاً، وهي وجدت نفسها مجبرة لتضع تحليلاتها الخاصة لتعبيره هذا.

لم يكن سيخبرها أي شيء والأحسن لها أن تترك الموضوع عند هذه النقطة الآن فمجادلتها مشاجرتها معه ستجعله يتركها هنا لتعود وحدها إلى المنزل وهذا ما لا تريده أو تقدر عليه. ولمحت بطرف عينيها سحابة غبار لكنها كانت تتحرك فتذكرت القرون القاسية التي كانت موضوعة في المحطة واقتربت لا شعورياً من زوجها.

سواء أخمن جيم اتجاه أفكارها وهي تقترب منه أم لا هي لم تعرف لكنه أشار إلى إحدى الجهات وقال «نستطيع أن نمتطي نزولاً

من هذه الجهة أو نكمل نحو الأراضي المنبسطة، الأمر يعود لك».

نظرت ميرندا مجدداً إلى جهة سحابة الغبار وقالت «نحن... نحن سننزل من هنا؟» قالت بسرعة «افترض إنه لا بد يوجد طريق».

«آه، نعم هناك طريق» وافقها بتكاسل وواضعة حياتها بين يديه رافقته نزولاً من طرف المنحدر.

كان الإنحدار من الأعلى على ما يبدو طريقاً متعرجاً تكسوه بعض النباتات من جهة والصخور الغرانيتية من الجهة الأخرى وفجأة خطرت ببالها فكرة مرعبة «هل... هل يوجد ثعابين هنا؟».

نظر جيم محدقاً بوجهها وقال «هل انت واثقة انك قادرة على السير هنا، نستطيع أن نمتطي الجياد ونسير بالأراضي المنبسطة».

واقفة هناك أخذت ميرندا تشعر بأحاسيس أخرى فظهرها من أوله لأخره كان يؤلمها بشدة بسبب ركوبها كل تلك المسافة ولم تستسيغ فكرة امتطائها للفرس مجدداً، وحتى أقدامها كانت تؤلمها وفكرت ماذا سيكون رد فعل جيم إذا أخبرته عن رغبتها في الجلوس للأستراحة قليلاً.

ونظراً لأنه كان لا يزال محدقاً بوجهها فقد قالت «انا واثقة» وسارت ممسكة بلجام فرسها.

- ٦ -

لم يكن النزول صعباً جداً كما توقعت فكان هناك العديد من النباتات لتتمسك بها ولكن المسافة لم تكن قصيرة وارتعبت ميرندا حين ظهر أمامها شيئاً صغيراً أسوداً لكنه عاد واختفى بسلام وأخبرها إنه مجرد تابير كان منزعجاً بسبب تدخلهم هكذا على مكان إقامته. وكلما اقتربا من الأسفل كانت ميرندا تشعر بتعبها المتزايد فحذاءها كان مخصصاً لركوب الخيل ليس لتسلق الصخور ورأت بأنها صارت بحاجة بين الفينة والأخرى للإتكاء على كتف جيم لتحافظ على توازنها وكانت في كل مرة تشعر بازدياد بقوة جسده وصلابة ملمسه، القوة التي كانت بحاجة للاعتماد عليها.

كان تتفحص بإعجاب إحدى الأزهار الحمراء حيث قطعت جيم المسافة الباقية بانزلاقة ووقف في الأسفل، تركها هذا بمسافة ستة أقدام بعد عليها قطعها ونظرت بانتباه إليه وقد اصبح هو بالأسفل وهي

www.elromancia.com

لا تزال فوق.

«إقفزي» قال هو يفتح ذراعيه ليتلقاها.

«انا... لا... لا استطيع...».

«بالطبع تستطيعين، إلا إذا اردت أن اتركك هنا واذهب».

«انت لن تفعل».

عينيها عكستا مصيبتها وقال هو «كلا، لن افعل، لكن عليك القفز، فلا استطيع الوصول إليك هكذا من هنا».

«ارجع إلى هنا».

«كلا».

لعقت ميرندا شفتيها وفيما فعلت ذلك سمعت صوت مفاجيء وغريب وراءها كصوت ثعبان ما يحتك بالصخور وهو خارج من جحره، ثعبان!.

وبصرخة مرتعبة رمت بنفسها من مكانها إلى حيث كان جيم واقفاً، جيم الذي فاجأته حركتها هذا لم يستطع أن يتمالك توازنه بعد أن سقطت عليه فوقعا هما الإثنان على الأرض وأخذا يتدحرجان سوياً حتى وصلا إلى ضفة النهر.

ذعرت ميرندا الآن بسبب ما قد تكون قد سببت له من أذى اكثر من رعبها السابق من الثعبان. فهو كان ملقى تحتها وعينيه مغمضتين دون أي حركة، يا الله! يجب ألا ترتعب ماذا يجب أن تفعل؟ هل هو فاقد الوعي؟ هل هناك أي كسر ما في جمجمته؟.

امتدت ذراعيه حولها فيما كانت تحاول الابتعاد عنه ولراحتها رأت عينيه ترمشان ثم تفتحان، وادركت في هذه اللحظة أنها كانت متمددة على وسطه.

«انت... انت بخير؟» سألت باضطراب شاعرة أن عليها قول شيئاً

ما.

التوى فمه وقال «لديك السبب لتظني انني لست كذلك.. بحق الله ما الذي تملكك لتفعلي شيئاً كهذا؟».

شعرت ميرندا بضحكة ترتفع إلى فمها «انا... انا دائماً اقوم بالغير متوقع، الم تكن تعرف؟» ضحكت ورأت الغضب الذي ظنته تسامحاً.

«هل انت كذلك؟» قال بقوة «حسناً، كان هذا تصرفاً أحمقاً وارعناً منك».

اختفت تسلية ميرندا «انا آسفة» قالت بندم «كان عليّ أن ادرك انك لن ترى الوجه المضحك في هذا».

«أي وجه مضحك؟» سأل وهو يهز كتفيه «كان من الممكن أن اكسر ظهري».

«حسناً، لكن هذا لم يحصل» محاولة ثانية للابتعاد عنه لتمنعها ذراعيه من ذلك «هل استطيع النهوض الآن؟».

إنحنى فم جيم بتفكير وفيما نظرت بعيداً عن عينيه انتقلت عينيه هو إلى حيث كانت السويتر قد ارتفعت بسبب السقطة عن وسطها مظهرة جسدها الأبيض الأملس. فوراً حاولت تغطية وسطها لكن شده على كتفيها منعها من ذلك، عيناهما كانا بعيدين حوالي ستة إنشات الآن لكن شفاههما كانت أقرب من ذلك.

«لقد سألت ماذا أخبرتني العمة ليديا» قال بنعومة وأنفاسه تدغدغ خديها «هل أخبرك؟».

تحركت ميرندا دون فائدة للتملص منه لكنها ادركت أن حركتها هذه لم تكن أبداً تهدىء مشاعره. دفء جسده إنتقل إليها ومعه ادراكها بانزعاج أن شعورها بهذا لم يكن غير سار، على العكس،

فرغماً عن ارادتها التصقت ساقيها به وانتابها ضعف حطم كل الحواجز التي ارادت وضعها بينهما.

«انا... انا اظن أن عليك تركي ابتعد» قالت بنفس لاهث، لكنه تجاهلها.

«العمة ليديا قالت أن عندك صديق... الجنس الخشن» تابع كأنها لم تتكلم أبداً «أحدهم ويدعى... بول؟ أهذا صحيح؟».

«لا يحق لها أن...».

«وهل لك انت الحق؟» سألها بحدة «انت زوجتي، اتذكرين؟ والخيانة الزوجية هي خطيئة عظمى».

«التي يرتكبها الكاردينالات تقصد» حاولت إغاظته لكنها فشلت «ثم انت لا تعرف أي شيء عني».

«اعرف أنه حان الوقت لأثبت إدعائي» قال وإحدى يديه تقترب من مؤخرة رقبتها وتشد وجهها إليه «لماذا أظهر لك الاعتبار فيما انت لا تعطيني أي شيء من هذا؟».

«انت قلت لي انك لا تريدني» احتجت وهي ترتجف لأن شفتيه بدأتا تلتصقا بوجنتها لكنه هز رأسه علامة النفي.

«تصحيح، اعتقد انني قلت انني لا اريد ممارسة الحب معك، على الأقل ليس في ذلك الوقت، الآن... انا اريد» وبحركة سريعة انقلب وحجزها تحت جسده القوي.

يديه الممسكتان بفكها منعتاها من الحركة ومن الابتعاد عن قبلته حتى ولو ارادت ذلك، والذي بكل صدق هي لم ترغب به أبداً، فمه كان صلباً ومتطلباً واشتعلت داخلها رغبة دفينة وكلما قست قبلته كلما شعرت باستسلام كل إنش فيها له.

التفت ذراعيها حول وسطه وتعلقت به فقوة المشاعر التي كان

يثيرها بها كانت هائلة لكنها تعلمت المعنى الحقيقي للإحباط حين ابتعد قليلاً عنها ليبعد خصلات الشعر التي كانت على جبينها وأصابعه تنزلق إلى أذنها.

«حسناً، حسناً» تمتم بهزء ومتعة «لقد نضجنا السنا كذلك؟ اتساءل من الذي علمك هذا؟».

«لم يعلمني أحد...» بدأت حين رأت أنه لم يصدقها، والطريقة الوحيدة لإقناعه بأنها تقول الحقيقة كانت أن تدعه ليكتشف هذا بنفسه...

لاحقاً حين عادت قواعد الرشد إليها وصارت بمفردها في غرفتها، تساءلت ميرندا إن كانت ستسمح له حقاً بممارسة الحب معها هناك على ضفة النهر لو أنه اراد أن يفعل ذلك، كان الأمر سيكون مُذلاً جداً. فكرت وبرود العقل يسيطر عليها، أن تقيم تجربتها الأولى مع رجل للمرة الأولى في حياتها في مكان عام، لكن في تلك اللحظة الإذلال الأعظم حصل حين ابتعد جيم عنها ووقف على قدميه وادركت هي أنه قد رفضها.

استدار عنها واضعاً قميصه داخل بنطاله ومصلحاً وضع قبعته التي تكورت بسب سقطته، كان يعطيها الوقت لتقف هي على أقدامها ولكنها شكت أن ساقيها المرتجفتين ستحملانها، لكن عليها القيام على كل حال. فقامت بتثاقل وجهد واضح استدار جيم وهي على وشك الوقوف وبتردد واضح قال «هل انت بخير؟».

صوت ميرندا بدا غريباً حتى على مسمعها لكنها تدبرت هز رأسها وتشاغلت بحجة بحثها عن قبعتها.

«إنها هناك» قال بجفاف وهو يشير إلى الحافة وارتعشت حين رأت العلو الذي لا تزال القبعة فيه.

«هلا أحضرتها لي؟» سألته بأدب ونظر هو إليها بتقطيب.

«افترض من الأفضل أن افعل ذلك، وإلا فانك ستقومين بعقلك هذا بالقفز مجدداً عليّ» قال بجفاف وشعرت هي بالمهانة.

«لم افعل هذا عمداً» احتجت «وانا بالتأكيد لن اكرر ذلك».

ظهر التشكك على وجهه «انت... أي... سقطت قبلاً».

شعرت بالدموع تتجمع في عينيها «إذا اردت أن تعرف فقد كان هناك ثعباناً» قالت بقوة وعانت من شهقة عدم التصديق عنده قال «آه! ثعبان؟».

أصرت بغضب «انت لا تتصور انني اردت الارتماء بين ذراعيك اليس كذلك؟».

«حسناً، انت لم تكوني راغبة بالتوقف قبل لحظات» قال ثم قطب بتفكير وتابع «اين كان ذلك؟ الثعبان الخطير!».

«فوق على الحافة» اعلنت بأسى ثم بتحذير فيما رمى هو قبعته وتسلق الحافة سألته «ماذا... ماذا ستفعل؟».

ادار وجهها نحوه وسأل «الآن ماذا تظنين؟».

«حسناً، كن... كن محترساً هلا فعلت؟ قد... قد يكون لا يزال فوق».

«قلقك هذا سيكون مؤثراً اكثر لو إنه فقط بدافع خوفك من البقاء هنا وحدك» علق بجفاف واضعاً قدمه على إحدى فروع النباتات الصلبة «إذا حدث ومت بسبب عضة ثعبان سام فستجدين طريقك إلى المنزل عبر تلك الحقول الممتدة هناك اسهل من العودة من هنا من فوق جسدي الميت».

«آه توقف» صرخت واضعة يديها على إذنيها «انت هازىء ومتهكم جداً، لا يخطر ببالك أبداً ما قلته لك هي الحقيقة اليس كذلك؟».

«طبعاً» قال وهو يحدق من فوق «على الأقل لن يكون عليك القلق من الثعابين السامة على كل حال».

«لما... لماذا لا؟».

«حسناً، إذا كنت انا نصف سيء كما تقولين انني كذلك فالثعبان المسكين هو الذي سيموت بسبب الطعام المسموم...».

تكورت يدا ميرندا بقبضتين فيما اكمل هو صعوده على الحافة. ارادت أن تنظر بعيداً لكن نظرتها كانت مجذوبة بمغناطيس ومعلقة عليه مدركة أنه إذا كان هناك ثعباناً فوق فجيم لا يملك أي وسيلة دفاع.

اندفع بذراعه نحو قبعتها التي هبطت في الهواء إلى الضفة قربها، لكن جيم التف قليلاً حول الحافة ولم تعد تستطيع رؤية إلا رأسه. ارادت أن تناديه أن تسأله إن كان كل شيء على ما يرام لتتأكد من أنه لم يكن يورط نفسه بأية مشكلة خطيرة لكن الخوف من إظهار الشيء الكبير الذي تشعر به داخلها أبقاها صامتة.

ثم باللحظة التي أخذت تشعر بها بالاسترخاء حصلت فجأة أصوات كثيرة. أصوات عصافير مذعورة وفارّة، صوت تكسر بعض الأغصان وصوت حفيف كتلامس شيء أملس على الأرض... شيء أملس؟.

«جيم!» رأسه كان قد اختفى وانطلق إسمه بصرخة من فمها، بالكاد تفكر بما كانت تفعل بالخطر الذي كانت تعرض نفسها له توجهت نحو غصن النبات المتين وتسلقت بضع خطوات عن الأرض حين رأته يظهر من فوقها.

«ماذا تفعلين؟» سأل لكن كان هناك شيء ما في صوته لم تحدده، ثم رأت الشيء الطويل الذي يشبه الحبل المتدلي من يده الشمال

والسكين الحاد باليد الأخرى وتراجعت هي خطوة على ضفة النهر.

«إنها... إنها حيَّة» قالت وغابت عن الوعي.

حين استيقظت لم تدرك اين هي أو ما الذي كان يجري، شعرت كأنها معلقة بين السماء والأرض وعينيها المتأرجحتين رأتا عمق المكان في الأسفل، ثم ادركت أن جيم كان يحملها على كتفه ككيس البطاطا فكرت دون أن تكون قادرة على الاحتجاج بعد. كان يصعد على الحافة بثقة وثبات وانتابها شعور بالخجل والعجز حين عرفت كم هو صعب عليه الصعود وثقلها هي على كتفيه. لماذا كان يحملها؟ ثم تذكرت بأسى ما حصل واحتقرت نفسها لذلك.

سواء شعر جيم بعودتها للرشد أم لا الا أنه لم ينزلها ألا حين وصلا إلى القمة فوضعها على الحشائش وارتمى بنفسه على ظهره دافعاً يداً مرتجفة داخل شعره.

«انا... انا آسفة» قالت «انا... انا عادة لست... لست...».

«ضعيفة القلب؟» اكمل لها مديراً وجهه لينظر إليها «لا ترتعبي، لقد علمني هذا درساً انا ايضاً».

أخذت ميرندا تقتلع العشب بجانبها بعدم إدراك وسألته «كانت... كانت حية سامة اليس كذلك؟» هز رأسه وأخفت قرفها وتابعت «هل... هل قتلتها؟».

«حسناً، انا لم اضعها في جيبي» اغاظها وادركت بذهول أنه كان يحاول طرد الخيالات التي زرعتها هي في عقلها.

«هل... هل عضتك؟».

هزّ رأسه ودفع نفسه وجلس «كلا، هي حتى لم تحاول. انهم ليسوا حيوانات اجتماعية».

«آه جيم!» الضعف جعل صوتها يرتعش وبحركة واحدة نهض هو

على قدميه وسحبها هي ايضاً حتى توقف العالم عن الدوران أمامها.

ثم قطب جبينه «قولي، هل تناولت أي فطور هذا الصباح؟».

هزت ميرندا رأسها ببطء من جهة لأخرى وحدق هو بها بعدم صبر.

«انت مجنونة هل تعرفين ذلك؟» قال بقسوة وثم كأنه غير قادر على ضبط غضبه من هكذا إرهاق رفعها مجدداً على كتفه ووضعها على سرج حصانه ثم أمسك لجام فرسها بيده قبل أن يصعد وراءها على ظهر حصانه.

رحلة العودة كانت ابطأ من رحلة المجيء وشعرت ميرندا رغم هذا أنهما وصلا بسرعة فوجود جيم وراءها وظهرها ملتصق بصدره ويده حول خصرها جعلها تشعر بالأمان والراحة والاسترخاء ولم تدري اكان جيم يشعر بالطريقة التي كان جسدها مستسلماً لجسده وبالفرح المفاجيء الذي سيطر عليها إلا أنه لم يظهر أي حركة تدل على ذلك وحين وصلا إلى المنزل رأت ميرندا كارلو والرجل الذي رأته من نافذتها في الصباح بلباس يشبه لباس جيم.

«ماذا؟» ونظر كارلو بقلق إلى ميرندا وإلى فرسها «ما الخطب؟ هل سقطت؟ آه لكن مارينكا هي أهدأ الخيول عندنا! جيم أخبرني بسرعة... هل حصل أي حادث؟».

نزل جيم عن ظهر الحصان ولم يقم بأي محاولة لمساعدة ميرندا «إهدأ كارلوس» قال وهو يربت على رقبة الحصان «لم يحصل أي حادث، ميرندا كانت... متوعكة، هذا كل شيء».

«متوعكة؟» ونظر إليها كارلوس بقلق «متوعكة؟ ميرندا عزيزتي، ماذا حصل؟».

«لا شيء مهم حقاً» احتجت ميرندا بضعف «كان هناك حيَّة...».

«حيَّة؟» واستدار كارلوس إلى جيم وبتنهيدة شرح له جيم باختصار الموقف مخففاً من خطورته لكن كارلوس كان منزعجاً.

«لقد اخبرتك، أن عليك حمل بندقية معك دائماً» عنفه قليلاً لكن جيم تجاهل مخاوفه.

«انا استعمل السكين منذ كنت في اللفة» طمأنه بمرح «الآن، هل تمانع في أن ادخل زوجتي إلى الداخل؟ فهي مثلك لا تقدر المخاطرات الممتعة».

ارتعشت ميرندا وزمت شفتيها حين حملها جيم وأنزلها عن ظهر الحصان ثم ابتعدت عنه خطوة حين استدعى جيم رجل الاسطبل وطلب منه إدخال الخيول، لم يكن بمقدورها قطع المسافة إلى الشرفة ومدخل المنزل دون الإتكاء عليه لكن لأنه أشار لها بالتقدم استجمعت قواها وخطت وكان يمشي هو قريباً جداً خلفها.

«افضل ألا تخبري والدتي عما حصل» قال بنبرة عادية.

«حسناً» قالت ميرندا «لكن لماذا؟».

«لأن جدي كان قد مات بهذه الطريقة» أجابها وبدون إعطائها الفرصة لتعبر عن تعجبها المذعور الذي صعد إلى شفتيها اسرع نحو الشرفة وانتظر وصولها للدخول إلى المنزل.

أحضر الغداء إلى ميرندا في غرفتها. وتبعاً لأوامر جيم كانت قد خلعت ملابسها واستلقت في السرير وكم كان من الرائع الاسترخاء هكذا أخيراً، حين أحضرت لها شيكيتا صينية الغداء كانت على وشك الإغفاء، لكنها ظلت مستيقظة لحين انتهت من تناول الغداء اللذيذ ولكنها غفت قبل تناول الحلوى وغرقت في النوم مفكرة بأي شيء سوى تناول طبق الحلوى هذا...

حلمت أنها كانت تسبح في النهر، تحرك يديها ساقيها بفرح

وسعادة وكانت المياه منعشة ورائعة لكنها كانت تسبح وحدها مستمتعة بشعور الحرية هذا وكان جيم يقف على الضفة ممسكاً بيده كرة ما ويهتف لها ولكن بعد لحظة انتابها الرعب فالكرة في يد جيم تحولت إلى ثعبان ضخم بأنياب ضخمة ورأس به قرون وأخذت تصرخ وتنادي وترتعش...

«ميرندا، ميرندا! هيا إنهضي».

الأصابع التي كانت تنقر على خديها بلطف كانت قاسية ورجولية. وضغطت ميرندا رأسها على الوسادة محاولة الهروب منهم لكنهما استمرا.

«ميرندا هيا! إنهضي».

حركت رأسها بيأس وفتحت عينيها لترى وجه جيم منحني فوقها ويلمع على ضوء مصباح قريب، تحرك رأسها نحو النافذة فرأت الظلام في الخارج حاولت التفكير والتركيز قال بنعومة «استرخي! كنت تحلمي، تخيفين نفسك إيتها الغبية بالصوت الذي تصدريه، انت بأمان الآن».

ادركت ميرندا أن صدرها كان رطباً من العرق وأن الرداء القطني الذي ارتدته سابقاً كان بدوره مرطباً وملتصقاً بجسدها «ما... ما هو الوقت الآن؟» تمتمت محاولة الإتكاء على كوعها والنهوض لتعود وتسقط مكانها ورأسها يدور.

«حوالي الحادية عشرة والنصف» قال لها بهدوء وحين عادت الغرفة أمام نظرها إلى مكانها وجدته لا يزال مرتدياً ملابسه.

«الحادية عشرة والنصف!» رددت «لكن هذا غير ممكن».

«اؤكد لك أنه ممكن جداً» قال واضعاً يده على جبينها المحرور «كنت مرهقة» تابع وهو يمسك رسغها ويقيس نبضها ناظراً إلى ساعته

قبل أن يسمح ليدها بالسقوط على الغطاء «كيف تشعرين؟».

نفس ميرندا كان متقطعاً لكنها قالت «بخير... هل ازعجتك؟».

هز جيم رأسه «كنت أقرأ... هناك» وأشار إلى غرفة الملابس «ما كان الأمر؟ الحيَّة مجدداً؟».

طأطأت ميرندا رأسها بصمت ساحبة تنفسها بشهقات قصيرة ونظر إليها بقلق واضح.

«هل تناولت الغداء؟».

فكرة الطعام كانت تسبب لها الغثيان لكنها قالت «قليلاً، ماذا هناك؟».

«انك تعانين من الحمى، سأغير لك أغطية السرير».

حدقت ميرندا به باهتزاز «ماذا تقصد؟».

«أغطية السرير، الشراشف! وخاصة... هذا» وأشارت أصابعه إلى رداء نومها القطني.

إرهاق ميرندا منعها من التحرك «ألا نستطيع الإنتظار حتى الصباح؟» احتجت لكنه كان قد بدأ يبعد أغطية السرير فسارعت لإنزال رداءها لتغطي سيقانها.

«انا طبيب» قال وهو يرفعها بين ذراعيه لينزلها عن السرير «واعلم تماماً ماذا يوجد خلف هذا».

لم تجبه ميرندا وحملها هو إلى غرفة الملابس وأجلسها بلطف على السرير الصغير ثم فتش في جواريره وأحضر لها رداء نوم نظيف.

«إرتدي هذا» نصحها «إلا إذا اردت أن ألبسك إياه بنفسي ثم استلقي على سريري حتى انتهي من سريرك».

ابعدت ميرندا شعرها المبلل بيد مرتعشة فرحة قليلاً لأن الغرفة توقفت عن الإهتزاز.

«سأساعدك في...».

نظر جيم نحوها «لا اظن هذا، فقط استلقي في السرير، لن يستغرق الأمر طويلاً».

خلعت رداءها المبتل واستغرقت وقتاً حتى ارتدت الرداء النظيف واستراحت أخيراً حين استلقت على السرير الخاص بجيم، جيم ينام هنا فكرت وهي تلامس الوسادة، السرير لم يكن صغيراً، وكان باستطاعتها مد ساقيها إلى كلا الجهتين وكان مريحاً جداً فعلاً وأحست بتثاقل في عينيها وشعرت كأنها تغرق في النوم ولكن وجه الحية بأنيابها وقرونها عاد ليتراءى أمامها فتسارع لهاثها وصدرت نبرات الاحتجاج من فمها دون أن تشعر.

يدا جيم حول وجهها هزتها بلطف وأعادتها إلى وعيها ونظرت إليه عبر رموشها المتناعسة.

«آسفة، آسفة» تمتمت بصوت مرتجف لكنه هز رأسه بتعاطف، ثم رأت الحقنة التي كانت بين يديه فارتعشت «هل... هل ستخدرني؟» صرخت تلينت ملامحه «أنه ليس مهدىء، إذا كان هذا قصدك» أخبرها بهدوء «إنه دواء مضاد للإلتهاب».

«انا لا اريد الاستغراق بالنوم مجدداً».

«لماذا؟» وأصابعه تلامس الدوائر حول عينيها «انت مرهقة».

حتى في حالتها هذه كان للمسته تأثيرها الكبير عليها فقط عندما يلمسها كانت تشعر أنها بأمان حقاً.

«لا تجعلني اعود إلى غرفتي» قالت فجأة باندفاع «دعني إبقى هنا».

نظر جيم مركز على الحقنة التي رفعها ورمي قليلاً من محتوياتها قبل أن يمسك ذراعها ويغرزها في العرق، لم تكد ميرندا تشعر

بوخزها وحين سحبها نظرت إليه بيأس.

«جيم...».

«تستطيعين البقاء هنا إذا اردت» وافقها «سانام انا في الغرفة الثانية».

«كلا» فليس هذا ما ارادته بتاتاً «جيم، إبق معي».

«لا استطيع أن افعل هذا ميرندا» تمتم بقسوة معيداً الحقنة إلى مكانها «مرحب بك أن تبق هنا إذا اردت، استطيع تفهم الوضع...».

«انا احتاجك» صرخت والدموع تملأ عيونها والتوى فمه.

«انت مرهقة، ستشعرين بتحسن بعد قليل. الدوار الذي أخذته سيخفض من حرارتك وعندها ستشعرين انك أحسن و...».

«لن ابقى وحدي» قالت له بقوة «ارجوك جيم! لن اطلب منك أي شيء آخر أبداً».

استقام مدخلاً أصابعه في شعره «انت لا تفهمين» تمتم لكنها لم تكن تستمع له «حسناً» قال أخيراً حين اصبح من الواضح أنها ستصاب بهستيريا إذا لم يوافقها «حسناً لكننا سننام في السرير الآخر».

«اريد أن نبق هنا» أصرت ومع أن فمه تقلص إلا أنه لم يجادلها، بل مشى ببطء نحو الغرفة الأخرى وأطفأ الضوء.

حين عاد كان يخلع قميصه وأزاحت نظرها عن منظر جسده الجميل محاولة عدم التفكير كيف ستشعر غداً. سمعت صوت خلعه للحذاء ثم للبنطال ثم اهتز طرف السرير حين تحمل ثقله.

تحركت مفسحة له المجال وارتعشت حين شعرت بذراعه تلامس ذراعها وحين تحرك وأطفأ الضوء ذعر من نوع آخر سيطر عليها.

ارتعش جسدها حين استدار مستلقياً على ظهره وكأنه شعر بقلقها فقد قال «كان يجب أن احذرك انني لا ارتدي البيجاما للنوم» ظلت أنفاسها متقطعة فأضاف «اترغبين بتغيير رأيك؟».

سحبت نفساً عميقاً وقالت «كلا» بدون اقتناع كامل وسمعت صوت تنهده.

«نامي ميرندا» قال لها بنفاذ صبر. مديراً ظهره لها «انا لن المسك صدقي هذا أو لا، لكن ممارسة الحب مع إمرأة هستيرية لا يثيرني».

لم تستطع ميرندا أن تمنع شهقة الإذلال والأذى التي صدرت منها، الوحش! فكرت بحرقة وفكرت بالنزول والذهاب إلى غرفتها لكن منظر الجية بقرونها جعلها تغير رأيها...

قضت ميرندا اربعة أيام في الفراش.

استيقظت صباح اليوم التالي ووجدت نفسها في السرير الكبير فظنت أن كل ما جرى كان أضغاث أحلام لكن أغطية السرير كانت صفراء الآن وليست بيضاء وكذلك رداء نومها المختلف اقنعها أنها لم تكن تحلم.

حاولت النهوض لكنها شعرت بالضعف وعدم المقدرة وحين دخلت شيكيتا بصينية الفطور لم يثير شهيتها كثيرا إبريق العصير الطازج والمربى والجبنة ورائحة القهوة أعادت لمعدتها المغص.

وحين أتى جيم ليطل عليها شعرت بالأسى على نفسها حين رأت جسده القوي وصحته الكاملة ولكنها لاحظت بعض الدوائر التعبة حول عينيه وادركت بأسف أنها هي المسؤولة عن هذه الدوائر.

تفحص نبضها ثم أخرج ميزان حرارة من علبته.

«عندك كل الأجهزة» قالت بأسى قبل أن يضع الميزان داخل فمها.

«يجب عليّ ذلك اليس كذلك؟» قال وأزال الميزان بعد لحظات

«كيف تشعرين؟».

«ضعيفة كالماء» قالت بمرارة «ماذا اعطيتني البارحة؟».

ابتسم نصف ابتسامة «ليس ما توقعت من الواضح» واحمرت وجنتاها وتابع «انت لا تزالين تعانين من تأثير الفيروس الذي التقطته».

«أي فيروس؟».

«شيء صغير يسمى سالمونيللا».

«هذا... هذا التسمم بالطعام اليس كذلك؟».

«حسناً أنه تسمم على كل حال» وافقها بغموض وحدقت بقلق به.

«هل انت تهزىء مني؟».

هز رأسه «ولماذا افعل ذلك؟».

«لتحاول أن تبقيني هنا» أعلنت ثم شعرت بالذل لأن تعابيره إحتقرت تلميحها.

«تظنين انني افعل ذلك؟» سألها «اعطيك بعض السم لأبقيك هنا؟ يا إلهي يا له من رأي لك بي!».

«انا لم اقصد ذلك» تمتمت بخجل لكنه لم يكترث لاعتذارها هذا.

«انت تريدينها كلمات من تعابيرك الخاصة؟» سألها لكنها لم تجبه فتابع «تيفوئيد... استرحت الآن؟».

«تيفوئيد؟» همست «لكن... كيف...».

«لا املك الوقت لأعود إلى تاريخ الإصابة» قال «إعتبري نفسك محظوظة انني اكتشفت ذلك قبل فوات الأوان».

«لكنه... لكنه يسبب عدوى اليس كذلك؟ اعني... لم يكن عليك أن تنام معي ليلة البارحة، اليس كذلك؟».

«انت غير مهتمة بي حقاً الستِ كذلك؟» قال وعيناه تعكسان شكّه

«فبعد كل شيء، في نظرك ستعتبرين الأمر تعنيفاً اليس كذلك؟».

«لا تقل هذا» وعضت شفتها بتعاسة «انا آسفة، ما كان يجب أن اقول ما قلته لكنني اشعر شعوراً بغيضاً».

«ستشعرين بالأسوأ قبل أن تشعري بتحسن» قال لها بنبرة الطبيب «لكن لاطمأنك من ناحية واحدة، أنه لا ينتقل بالعدوى، ليس في وضعك الحالي على الأقل» توقف وظلت تنظر إليه بتوسل «الآن، يجب عليّ أن أسألك سؤالاً شخصياً».

كان هناك العديد من الأسئلة الشخصية وجسد ميرندا بأكلمه كان يتلون بخجل عند كل إجابة. ولكنه بدا راضياً عن إجاباتها وتركت جسدها يسترخي أخيراً حين انتهت الأسئلة.

«ماذا... ماذا سأفعل الآن؟» سألت وتنهد هو.

«ليس الكثير، إبقي في السرير وكلي قدر ما تستطيعين».

اصدرت ميرندا صوت إحتجاج «لكن لا استطيع البقاء هنا...».

«لماذا؟».

لم تستطع مواجهة عينيه «انا... انا أخبرت العمة ليديا انني سأتغيب لمدة اسبوع، اسبوعين على أبعد تقدير، وقد مضت عشرة أيام حتى الآن».

هز جيم كتفيه «أرسلي لها برقية، أخبريها انك... ستتأخرين».

رفعت عينيها إليها «لكنها ستقلق...».

«تقصدين أن بول سيقلق» صحح لها بحدة «حسناً أخبريه أن يأتي إلى هنا».

ابتلعت ميرندا ريقها بصعوبة «انت... انت ستدعه يأتي؟».

«ولم لا؟».

«لكن... انت...».

«لا ضير من مقابلة غريمي» قال «اتريدينني أن ارسل البرقية؟».

هزت ميرندا رأسها إلى الجهتين دون أن تدرك حقاً ماذا تريد. كل ما تعرفه أنها منذ لحظة وصولها إلى هنا وأفكارها تتغير دوماً.

«لكن اين سيبقى؟» سألت.

«لم ليس هنا؟».

«ماذا ستقول والدتك؟».

«اعرف تماماً ما تظنه والدتي» قال لها بقسوة «أولاً سأقول لها أنه أحد أصدقائي، حتى تحل الأمور نفسها».

«وكيف ستحل الأمور نفسها؟».

هز كتفيه «لننتظر ونرى هلا فعلنا؟ الآن ساعطيك حقنة أخرى وبعدها اريدك أن تحاولي الاستلقاء والنوم».

«النوم؟» وحدقت به بتعاسة «لقد كنت نائمة للتو».

تجاهل احتجاجها وتأوهت حين انغرزت الإبرة بذراعها ثانية. ثم اصلح وضع الأغطية ونظر إليها وتعبير غريب في عينيه.

«ستنجين» قال لها باستهزاء ثم تابع بنبرة اكثر جدية «لكني غير واثق من نجاتي انا».

شعرت ميرندا بالانزعاج من كلماته وبادراكها أنها لا تريده أن يذهب اندفعت قائلة «انا... انا حقاً آسفة لما قلته» وتابعت بنبرة منخفضة «هل... هل ستعود لتراني ثانية؟».

ابتعد عن السرير «حين انتهي من رؤية مرضاي الآخرين» وافقها باختصار ورفعت نفسها على كوعها.

«أي مرضى آخرين؟».

«الذين في سانتا مادلينا» قال بجفاف «انت لم تتصوري انني تطبيبي مقتصراً على الملكة، اليس كذلك؟».

فكرت ميرندا أنها تصورت ذلك، وحين تذكرت سانتا مادلينا والظروف المعيشية البدائية هناك فكرت أنها لا تريد التصور أن جيم يعمل هناك معرضاً للإصابة بالأمراض والأوبئة.

«انا... انا لم افكر أبداً بذلك» ونهضت أخيراً.

حرك كتفيه وقال «هناك القليل من الاعتناء من قبل الدولة بتلك القرية لكننا على الأقل نحاول تأمين القدر الممكن من الرعاية الطبية».

«تقصد... انك انت من يحاول» استفسرت وفتح هو الباب.

«خذي الأمر ببساطة» نصحها وغادر.

استسلمت ميرندا للنوم لكنها لم تكن تشعر بالارتياح حين أتت تيريزا لتطل عليها.

«أترين» قالت تيريزا وهي تجلس قربها على السرير «كنت على حق في رأيي بأن يتفحصك جيم، الحمد لله أن الأمر ليس أخطر من هذا».

«أنه ليس كذلك؟» قالت ميرندا بعدم تصديق وهزت تيريزا رأسها.

«بعد يومين أو ثلاثة ستبدأين بالشعور بالتحسن حقاً، وعندها تستطيعين فعلاً أن تستقري هنا».

لعقت ميرندا شفتها «نعم، حسناً... ربما كان عليّ التحدث معك بهذا الشأن...».

«أي شأن؟» سألت تيريزا وهي ترفع حاجبيها «حول استقرارك هنا؟ لن تجدين الأمر صعباً، بعدها إذا اردت نستطيع انا وكارلوس الانتقال إلى فالمونت».

«آه، لا» والتقطت ميرندا أنفاسها «أي لا تنتقلوا... لا تنتقلوا بسببي انا...».

ربتت تيريزا على يدها بتفهم «اعرف، انت لا ترغبين بإجراء التغييرات. لكن حين تنجبان انت وجيم الأطفال...» وابتسمت «كنت سأفقد الأمل بانجاب أي وريث لهذا الممتلكات».

فقط لو كان بإمكان ميرندا أن تقول لها لكنها لن تستطيع.

لم تدرك ميرندا أي شيء في الستة وثلاثون ساعة اللاحقة فقد شعرت بأنها قد غابت عن الوعي وكانت حرارتها عالية ولا تطيق أي شيء يلامس جسدها وكانت تشعر بأيدي باردة كانت ترطب وجهها وبين الحين والآخر وبأيدي تهدىء من اضطرابها، ظنت احياناً أنها تيريزا أو سانشا أو أحد الخادمات الأخريات لكنها احياناً كثيرة كانت تشعر بوجود جيم قرب سريرها وأصابعه القوية ممسكة بأصابعها المرتجفة بقوة.

استمرت الحمى طوال بعد الظهر وعند المساء تمكنت ميرندا من احتساء بعض الشراب الذي أحضرته لها تيريزا لكن للحظات قليلة قبل أن تعود وتغرق في اللاوعي حتى الصباح.

ظهر جيم فيما كانت سانشا تساعدها على الاغتسال صباح اليوم التالي وانحنت بحب وانسحبت لدى دخول جيم، ميرندا التي ادركت أن شعرها لم يسرح منذ أيام وأن بشرتها كانت تفتقد الحيوية واللون غرقت في السرير مغطية حتى نصف وجهها.

اقترب زوجها من السرير وأعاد الغطاء إلى وسطها فقط وقام بفحصه اليومي قبل أن ينظر إليها ويسألها «انت تشعرين بتحسن اليوم، همم؟».

«نعم شكراً لك».

نظر إليها جيم زوراً وقال «كان هذا مؤدباً جداً، لا يمكن أن تكوني بخير تماماً كما أظن».

«انا كذلك» قالت ميرندا مدركة عدم جدوى ادعائها ورفعت نفسها وجلست متابعة «الأمر فقط... أنه انني أبدو بحالة مزرية».

تقلصت عيناه «انت لا تصطادين المدح؟».

«كلا» كذبت «انا اعني ذلك، كان عليك تركي اسرح شعري واضع بعض اللمسات على وجهي قبل أن تدخل».

«لماذا؟ هل ذلك سيمحي ذكرى منظرك كما كنت قبل أربع وعشرين ساعة؟».

احمر وجه ميرندا «لا تكترث لي».

هز كتفيه وقال «هل انت جائعة؟».

«قليلاً».

«اتستطيعين تناول بيضة مسلوقة؟».

«هل استطيع الحصول على واحدة؟» سألت بدهشة.

«نحن نملك الدجاج كما تعرفين» قال بجفاف «هل هذا ما ترغبين بتناوله؟».

«نعم» وافقته بصدق لكن حين اراد الوقوف أمسكت بيده «جيم...».

«نعم؟».

عيناه كانتا باردتان تماماً وادركت إنه ينظر إليها كمريضة فقط.

«انا... انا... اشكرك» تمتمت وأحنى هو رأسه.

«لا مشكلة» طمأنها وترك الغرفة.

مساء اليوم التالي استطاعت ميرندا تناول الطعام بطريقة عادية وصباح اليوم التالي استطاعت أن تستحم وببهجة أخذت تزيل العرق والتعب عن شعرها وجسدها، وكانت ستنزل لتناول العشاء معهم في الطابق السفلي فارتدت ثوباً أخضراً جميلاً رغم ملاحظتها أنها قد

نحفت كثيراً خلال أيام المرض إلا أن الثوب كان يلائمها وبتسريح شعرها وإضافة بعض اللون لوجهها عادت لها الجاذبية والجمال.

أتت تيريزا لمرافقتها إلى الطابق السفلي وأوامر جيم كانت أنها تستطيع النزول لتناول العشا شرط أن لا تتأخر في السهر.

كانتا المرأتين تتحدثان وقد أحضرت شيكيتا الشاي إلى الصالة، حين ظهر كارلوس وجوليا، لم تكن ميرندا قد رأتهما طيلة أيام مرضها.

نظر كارلوس إليها بعد أن قبلها وتيريزا وقال «يا للشيء المريع الذي حصل لك يجب أن نكون ممتنين إلى الأبد أن جيم قد اختار الطب كمهنة له».

«فعلاً» قالت تيريزا وهي تنظر إلى ميرندا بتعاطف «هي بخير الآن وهذا هو الشيء المهم».

جلس كارلوس أمامها وتناول الشاي من زوجته ثم قال بدون مقدمات «من المؤسف أن جيم قد أخبرنا انك اتخذت هذا الحادث كعامل سلبي ضد بلدنا».

الاتهام المفاجيء هذا أربك عقل ميرندا وللحظة ظلت تحدق بكارلوس وفنجانها بين يديها تيريزا التي شعرت بأن كلمات زوجها كانت قاسية ومفاجئة قالت «يجب ألا تشعري اننا نلومك انت، لكن اعرف أن كارلوس يشعر مثلي تماماً ونتمنى أن تبعدي شبح الأيام الماضية هذه عن رأسك وتقررين البقاء».

- ٧ -

باختصار تساءلت ميرندا إن كان جيم قد حضر والديه لهذا لكن تلك الأيام الماضية قد اعطتها بعد نظر بالنسبة لشخصية جيم ايضاً ولم ترغب في أن تقفز إلى استنتاجات خاطئة. فعلى الأقل هو قد اوجد لها حلاً لواحدة من المشاكل.

وضعت الفنجان من يدها بهدوء وقالت «مهما كان ما سأقرره فساكون دائماً شاكرة لكما لطفكما».

«لطفنا؟» قال كارلوس بنفاذ صبر «هل من اللطف أن نرحب بزوجة ابننا بين عائلتنا؟ هل من اللطف أن نعتني بها أثناء مرضها ونتأكد أنها تحصل على افضل عناية طبية ممكنة؟ ما هو نوع البلد الذي تأتين منه ميرندا، والذي يعتبر هذه الاشياء نوع من اللطف؟ لقد قمنا بما كان علينا القيام به، بما هو واجبنا. ألا تعني عائلتك لك شيئاً ميرندا؟».

تلونت وقالت «ليس عندي عائلة، والدي توفي حين كنت طفلة

www.elromancia.com

صغيرة وتوفيت والدتي منذ ثمانية عشرة شهراً...».

«لكننا نحن عائلتك الآن» قالت تيريزا وانحنت لتمسك يدا ميرندا «هذا ما يحاول كارلوس أن يبينه. نحن آسفنان أن والديك توفيا، طبعاً لكن يجب ألا تشعري أبداً انك وحيدة...».

شعرت ميرندا بغصة في حلقها «انت لطيفة جداً» قالت مجدداً وغمرها شعور الارتياح حين دخلت الخادمة معلنة وصول شخص إسمه جوان فارغاس ويطلب مقابلة السيد كارلوس.

رافقته تيريزا بنظراتها المحبة قبل أن تلتفت لميرندا وتصب لها المزيد من الشاي، لحسن حظ ميرندا تتابعت الأحاديث بينهما حول مواضيع أقل خصوصية، وكانا يتحدثان عن الكريم الحامي للجلد والخاص بهذا المناخ حين دخل جيم، كان يرتدي بنطالاً كاكياً وقميصاً مماثلاً والعرق ينساب من جبينه ويظهر على قميصه في بعض المناطق.

اعتذر من والدته على مظهره قبل أن يلتفت إلى زوجته باستفسار «أرى انك قد التزمت بأوامري».

رفعت ميرندا رأسها «اليس من المفترض أن افعل؟».

«بالتأكيد» وابتسامته الخفيفة الهازئة تتراقص على شفتيه «الآن وبما انني اراك بأحسن حال فساعتذر منكما لأصعد وآخذ دوش».

هذه المرة عينا ميرندا هما اللتان رافقتا الجسد الذي خرج من الغرفة وتيريزا التي كانت تراقبها بتركيز سألتها بهدوء «لماذا فعلت ذلك ميرندا؟».

كلماتها اعادت ميرندا وجعلتها تستدير برأسها بقوة «استميحك عذراً؟».

تنهدت تيريزا لكنها لم تتراجع «سألتك لماذا فعلت ذلك ميرندا،

لماذا اتيت إلى هنا؟ بعد كل تلك السنين؟».

تفاجأت ميرندا وتمتمت «انا... لماذا؟» رددت محاولة كسب الوقت «لماذا تظنين انني أتيت؟».

قطبت تيريزا «حين عاد جيم إلى هنا وأخبرنا أنه قد تزوج فتاة ما من انكلترا شعرنا كلنا بالأذى والأسف لكننا لم نكن متفاجئين تماماً. فكما ترين لقد شككنا من زمن أن هناك شخص ما... شخص ما يجذبه إلى انكلترا بين الحين والآخر، لسنوات حاولنا أن نثير اهتمامه بالفتيات هنا، لكن دون جدوى، وفي أحد الأوقات ظننا أنه سيدخل الكنيسة ثم حول زواجك منه كل شيء».

«آه، نعم» حاولت ميرندا استيعاب ما كانت تيريزا تقوله ولكن كل ما لصق بذهنها كانت الكلمات «... لقد شككنا أن هناك شخص ما... من؟ من؟».

«حين ارسلت تلك البرقية» تابعت تيريزا «بدأت اتساءل إن كنا نعرف حقاً كل القصة، حتى انني أملت أن يكون جيم هو المسؤول عن غيابك... انك اردت المجيء إلى هنا، وانه هو من رفض ذلك، ثم الليلة الماضية حين أخبرنا...».

لم تعرف ميرندا ماذا تقول فالكثير من كلام تيريزا كان صحيحاً ولكن الأسباب مختلفة وكيف بإمكانها شرح ملابسات الحقيقة كاملة دون إثارة غضب والدة جيم أو حقدها؟.

«انا... حسناً، لقد كنت صغيرة جداً حين تزوجنا» تمتمت بتلعثم.

«أخبرنا جيم هذا» وافقت تيريزا «قال انك كنت بحاجة للوقت لتتأقلمي».

احنت ميرندا رأسها «كنت فعلاً بحاجة لهذا».

«والآن؟».

«لا اعرف...».

وكانت حقاً كذلك فهي لم تجرؤ على أخذ الخطوة التي ستبعدها للأبد عن دائرة عطف ومحبة تيريزا وقالت لنفسها أن ضعفها هو السبب في ترددها هذا فالقرار بحاجة لبرود وتصميم وهي ليست بهذه الحالة الآن، لكن عميقاً بداخلها تقلصت من فكرة قطعها هذه الصلة نهائياً.

ومهما كانت أفكار تيريزا فهي لم تظهرها وشعرت ميرندا أن تيريزا تقدر إختيار ابنها لها كزوجة وأن هذا التقرير قد قضى على أي احتجاجات أخرى.

عاد جيم بقامته وجاذبيته، مرتدياً بنطالاً زيتياً غامقاً وقميصاً بلون الكريم وشالاً معرقاً بالأخضر على رقبته ويظهر من تحت القميص، كان منظره ساحراً وينطق بالرجولة والشخصية، رفعت والدته حاجبيها حين رأته.

فنظر إليها وقال «بما أنها الأمسية الأولى التي تقضيها زوجتي في الطابق السفلي فقد رأيت أن اعتبرها مناسبة خاصة».

هزت والدته رأسها ونهضت على قدميها «اعتقد أن هذه فكرة ممتازة، جيم والآن اعتذر منكما فسأذهب لكارلوس».

عرضت ميرندا على جيم شرب الشاي لكنه رفض لأنه كان قد برد وصب لنفسه بدلاً منه كأساً من الشراب القوي ورمى نفسه على الكنبة بجانبها باسترخاء «كنت في القرية؟» سألته لتقطع الصمت لكنه هز رأسه.

«كنت في إحدى المزارع البعيدة، زوجة الرجل كانت تنتظر ولادة ابنهما الحادي عشر ولسوء الحظ ولد الطفل قبل الموعد الطبيعي».

استدارت ميرندا نحوه «هل هي بخير؟ المراة اقصد!».

هز كتفيه «إنها على قيد الحياة».

«الطفل؟».

«هو ايضاً، مع انني اشك ببقاءهما مطولاً هكذا».

«آه! هذا امر مريع! لماذا؟».

جلس موسعاً بين ساقيه واضعاً يده التي تحمل الكأس بينهما «كانسلو في عمر غير مناسب لإنجاب الأطفال فهي في الأربعين وقد قامت بواجبها نحو زوجها ولكنها تتابع الحمل دائماً محطمة كل مرة جزء من صحتها وعافيتها».

«لكن لماذا ستموت؟ فإذا قد انتهت من مرحلة الولادة...».

«لقد خسرت الكثير من الدماء، إنها بحاجة لتنتقل إلى المستشفى في فالنتس، لكن فاسكو لا يسمح لي بنقلها».

«لا يسمح لك؟».

نظر جيم إليها «هذا حقاً غريب عليك اليس كذلك؟ لكن هنا الرجل هو السيد وصاحب الأمر في بيته».

«لكن إذا كانت تحتضر...».

«هو لا يصدق ذلك فهي حيَّة والطفل كذلك، والباقي على الله».

«انت تبدو... تبدو ساخراً» قالت الكلمات بشبه همس وتقلصت عيناه وهو ينظر إليها.

«ماذا كانت والدتي تقول لك؟» قال بجفاف.

حدقت ميرندا بيديها وقالت «كانت... تسألني كيف اشعر؟».

«هل هذا كل شيء؟».

«وماذا ممكن أن يكون غير هذا؟».

«لم تذكر لك حقيقة انني قد أخبرتهم انك لست سعيدة هنا؟».

هذا دفعها لترفع رأسها وشفتيها تنفرجان بدفاع «كارلوس... قال شيئاً من هذا القبيل».

«و؟».

«انا... انا قلت انني لا اعرف ماذا سأفعل بعد».

تقلصت عيناه «ولماذا قلت هذا!».

«لأنني... لا اعرف، لا اعرف ماذا سأفعل!».

قطب ثم أحنى رأسه بحركة رفض «انت تشعرين انك بحالة جيدة الآن، اليس كذلك؟».

«نعم» قالت بسرعة واحتسى هو الباقي من كأسه.

«إذن...» وضع كأسه مكانه وعاد ليقف على بعد خطوة من مكان جلوسها «ربما علينا التحدث الآن».

«بأي شأن؟» صوتها كان لاهثاً لكنه تعمد ألا يلاحظ ذلك.

«انت سألتني» علّق قائلاً وجلس قربها وهو يكاد يلتصق بها هذه المرة وقربه هذا ملأ انفها برائحة الصابون الذي استحم به قبل قليل ورائحة الرجولة التي تفوح منه وتابع «انت تعرفين سبب مجيئك إلى هنا اكثر مما اعرفه انا».

تسارعت انفاس ميرندا «و... وانت قلت انك... انك لن تدعني ارحل...» قالت بتلعثم.

نزلت عينيه إلى شفاهها المنفرجة «هل اعتبر انك تأخذين هذا ضدي؟».

تململت بعدم ارتياح «انا... انا اذكرك فقط بما... بما قلت».

«آه! انا اذكر ما قلت» قال بنعومة مادا يده إلى كتفها «لكني لا اذكر انك قد اعرت الأمر أي اهمية».

«انا... انا لم افعل، لا افعل» وضعت يديها على الأريكة

وتحركت قليلاً «لكن منذ مرضي لم يكن عندي الوقت ل... لأفكر بالمستقبل...».

«كلا؟» وأصابعه تداعب شريط ثوبها على كتفها رافعاً القماش عن بشرتها مداعباً عن عمد البشرة الناعمة وتابع «هل تحبيني أن افعل هذا؟».

سؤاله كان غير متوقعاً وابتعدت عن النظرة التي رماها بها «انا... كلا» قالت لكن ابتسامته اظهرت عدم تصديقه لها.

«إذن لماذا لا تمنعيني؟» سألها مبعداً الشريط ليلامس كتفها بشفتيه «امنعيني... أو شاركيني...» وأخذ حنجرتها بين أصابعه أدار وجهها نحوه.

فتحت فمها لتحتج لكن الكلمات لم تخرج بسبب شفاهه التي اطبقت على فمها، وشعرت بالعذوبة كأن سائلاً مخدراً يسري في شرايينها محولاً جسدها ليناً كالعجين تحت ملمسه. واشعلت قبلته فيها غريزتها القوية والتصقت به وحين شعر بتجاوبها ازدادت حرارة شفاهه وغمرها شعور رائع.

«آسفة إذا كنت اقاطعكما».

صوت جوليا البارد النبرات سقط كالحصى في بركة هادئة مسبباً أمواج دائرية استوتهم جميعاً ضمنها.

ردة فعل جيم كانت ابطأ من ردة فعل ميرندا ولكن فيما شعرت بكلمات الاحتجاج المتزايدة التي أخذت ترتفع في حنجرتها وهو لا يزال يقبلها ابتعد هو قليلاً عنها بتردد واضح. يدا ميرندا اوتوماتيكياً رفعت شريط ثوبها إلى كتفها واصلحت قليلاً من وضع شعرها، جيم استرخى بكسل على ظهر الكنبة ناظراً إلى جوليا، بعيون سوداء غاضبة.

«لو انك آسفة فلماذا لم تغادري الغرفة فوراً؟» سألها بنبرة خاصة كأنه يتذمر من الطقس السيء ووجه أخته الشاحب تلون قليلاً.

«إذا اردت إغواء زوجتك على مرأى من أي من الخدم المهتمون بالمشاهدة فأذن لم لا اكون واحدة من المشاهدين؟» قالت بتصلب.

«لم اكن أغويها» قال جيم بصرامة مصلحاً وضعه على الكنبة ومتجاهلاً ارتباك زوجته «اشك في هذه الظروف إذا كنت حتى تجرؤين على التدخل».

رفعت جوليا يدها إلى رأسها وارتجافها الواضح يظهر عدم ثبات جوليا الداخلي كما تدعي ظاهرياً وتمتمت عبر شفاهها المتصلبة بلغتهم الخاصة.

«تحدثي بالأنكليزية» أمرها بنفاذ صبر وهو يقف على قدميه «إذا اردتي إهانتي فلتكن لك الجرأة للتحدث بلغة تفهمها زوجتي».

رفعت جوليا رأسها «ربما كان عليها أن تتعلم لغتنا» وانتقلت عينيها إلى ميرندا «دعوتي أخي بالخنزير سينيورا، وكنت على وشك القول أنه من المؤسف انك لم تستطيعي تعليمه السلوك الصحيح».

شعرت ميرندا بواجب أن تنهض هي بدورها ونظرت بعدم ارتياح نحو جيم وتلقت عيونه التي كانت تحدق بها بإعجاب قوي وكادت أن تشعر بلهب رغبته ينساب من عيونه محركاً حتى من بعيد كل ذرة في كيانها.

«انا. . . انا آسفة» تمتمت الآن مستديرة نحو جوليا لتتحاشى ما كان يفعله جيم بها وتابعت «إنها غلطتي انا طبعاً».

«غلطتك؟» صرخت جوليا بدهشة «ماذا بحق الجحيم تقصدين؟».

نظرت ميرندا للحظة نحو جيم قبل أن تقول بعناية «انني لا استطيع تكلم اللغة البرتغالية طبعاً، ماذا ظننت انني اقصد؟».

شعرت دون ان تسمع بالنفس المستمتع الذي سحبه جيم لكن جوليا كانت اكثر من بعيدة عن الاستمتاع.

«نعم، اعتقد أن هذا هو» قالت جوليا ببرود «ربما لو كان جيم قد تزوج إمرأة عوضاً عن فتاة، لكانت شعرت بوجوب معاناتها في مشاركة زوجها العيش هنا».

استغرقت ميرندا لحظات لتستعيد توازنها بسبب هذا الهجوم الغير متوقع وحين شعرت أن جيم على وشك التدخل اسكتته بنظرة من عينيها «ربما كان ما تقولينه صحيحاً» قالت ميرندا بهدوء «لكن أخيك لم يعطيني الفرصة أبداً لاكتشاف هذا».

سمعت هذه المرة الصوت الحاد الذي اصدره تنفس جيم الغاضب لكنها تجاهلته لتسمع جواب جوليا وحين أتى الجواب كانت اكثر من منزعجة.

«هل هذا هو الأمر؟» قالت جوليا بوضوح وهي لا تشك أبداً بكلام ميرندا وارتفعت عيناها إلى وجه أخيها «بدأت افهم الآن» وظهرت ابتسامة صغيرة على وجهها «تلك كانت طريقتك في التهرب من الوضع الصعب. اليس كذلك؟ والدتنا قد اصبحت اكثر من متشوقة ومحترقة لتجد لك الزوجة المناسبة كلا؟ وبزواجك من ميرندا انت كيف يقولونها. . . أخرست بنادقها».

«جوليا!» قال بجفاف.

لكنها لم تستمع إليه وتابعت «كان عليّ التخمين طبعاً» وعادت لميرندا مجدداً «اعتذاراتي لك سينيورا، من الظاهر انك تستفيدين جيداً من الوضع فقط، انا اهنئك».

تقبلت ميرندا تمنياتها دون رضى فهي كانت منزعجة بسبب الكلمات التي سمعتها ومشوشة، وتحولت إلى زوجها منتظرة منه أن

ينفي اتهامات جوليا. لكن ملامح جيم كانت متسترة كالعادة وما بدا بكونه محافظة على نفسها ضد هذه المرأة البرتغالية انتهى بصراع داخل مشاعرها هي.

ظهور تيريزا وكارلوس مجدداً كان أمراً منغصاً اكثر منه مفرحاً فقد قضت ميرندا بقية الأمسية وهي تفكر بكلمات جوليا وتتساءل لماذا كان ولا يزال لهذه الكلمات وقعها المزعج جداً لها.

استيقظت ميرندا صباح اليوم التالي وشعور بمصيبة ستحل عليها معلق فوق رأسها واستغرقت بعض الوقت قبل أن تنهض من السرير وتنظر إلى النافذة دون أن تكترث ما هو اليوم أو ما هي الساعة.

الليلة السابقة كانت محبطة تماماً، اعترفت لنفسها، متذكرة الساعات التي قضتها ساهرة في السرير منتظرة صعود جيم من الأسفل لمعاودة ما كان قد بدأه في المساء، لم تكن تهتم فعلاً لنتائج هكذا عمل ولكن حين سمعت صوتاً في غرفة الملابس انهار كل ما كانت تتوقعه، ثم طبعاً ما عذبها وآلمها أنه بالرغم من كلمات جوليا، بالرغم من كل شيء كانت تريده أن يأتي إليها.

لقد توقعت المشاكل حين غادرت لندن، كانت تعرف من التجارب السابقة أن جيم ليس الرجل السهل الذي يمكن التعامل معه، لكنها كانت مصممة على النجاح واستعدت لمواجهة المشاكل حين تواجهها، الشيء الذي كانت مجبرة على الاعتراف به هو أن المشاكل التي تواجهها الآن لم تكن نفسها التي كانت تتوقعها أثناء قدومها بالطائرة إلى هنا.

اتجهت قليلاً نحو النافذة ورأت السماء الملبدة بالغيوم، الشتاء سيأتي سريعاً فكرت وزاد هذا في تجهمها والسوداوية التي كانت تشعر بها.

توجهت نحو غرفة الملابس وفتحتها بهدوء لكنها تفاجأت حين لم تجد جيم بداخلها، كان سريره قليل التبعثر كدليل على الليلة المزعجة التي قد قضاها ربما صاحياً؟ كانت قد اكتشفت الباب الواصل إلى الطابق السفلي من هذه الغرفة ولا شك أنه يستعمله للدخول والخروج دون المرور بغرفتها هي.

اغلقت الباب مجدداً فيما ظهرت شيكيتا وهي تحمل لها الفطور «كيف اصبحت اليوم، انت تشعرين بتحسن؟».

«اجل، شكراً لك» ميرندا كانت قد تعلمت بعض الجمل القصيرة «. . . اين زوجي؟».

«سينيور جيم. . لقد رحل سينيورا».

تصلبت أعصاب ميرندا وسألتها فوراً «رحل؟ رحل إلى اين؟ إلى القرية؟».

«القرية، سينيورا؟» قطبت شيكيتا «آه، سانتا مادلينا؟ آه كلا، سينيورا».

«إذن إلى اين؟».

كانت ميرندا تجد بصعوبة متنامية مقاومتها للرغبة بهز شيكيتا لتأخذ منها الأجوبة هل كانت هي تتعمد البرود في الإجابة؟ لكن كلا، لم تكن شيكيتا كذلك، كانت ببساطة لا تفهم حرقة وتلهف ميرندا، هذا كل شيء، ولربما كانت تتساءل لماذا لم يخبر جيم زوجته عن وجهة رحيله.

الآن جمعت شيكيتا يديها وقالت بصوت غير سعيد «لقد رحل إلى بيلوهوريزنتي! سينيورا».

«بيلوهوريزنتي؟» لم تستطع ميرندا إخفاء الخيبة في صوتها «لكن. . . لكن متى سيعود؟».

فتحت شيكيتا يديها «انا لا اعرف سينيورا!».

قطبت ميرندا فمن الواضح أنها لم تعرف شيئاً بسؤالها لشيكيتا، لكنها أخذت تتساءل بعد ذهاب الفتاة وأثناء تناولها الفطور إن كان تصرف جيم هذا يعني أنه يعطيها حريتها، هل هو يتوقع أن يراها هنا حين يعود؟ ام لا؟ مع إن رحيل جيم قد افسد شهيتها لكنها تناولت القليل متذكرة خطورة قلة الأكل على شفاءها القريب واستحمت ثم ارتدت بنطالاً بنياً وبلوزة خضراء ونزلت إلى الطابق السفلي كانت تتجول في الغرفة والارتباك واضح عليها حين وصلت جوليا.

نظرت جوليا إليها قليلاً وقالت «هل هناك خطب ما؟».

«كلا، اين والدتك؟» اجابت ميرندا بسرعة.

هزت جوليا كتفيها «في مكان ما في الجوار لماذا؟ اتريدينها؟ استطيع ايجاده لك».

«آه، لا» ميرندا هزت رأسها «الأمر ليس مهماً، انا... شيكيتا أخبرتني أن جيم قد رحل إلى بيلوهوريزنتي».

ظهر الانزعاج على جوليا «شيكيتا أخبرتك؟».

احمر وجه ميرندا «لا بد أن جيم قد نسي إخباري بنفسه...» قالت بتلعثم ولاحظت شك الفتاة بكلامها «هل هو... أي هل تعرفين متى يعود؟».

ظهر التفكير على جوليا التي قالت «لن يغيب لأكثر من يومين أو ثلاثة».

«يومين أو ثلاثة!» وجمعت ميرندا شفتيها مجدداً «هكذا!».

«اعتقد إنه لا يخبرك أي شيء» قالت بهدوء «لقد ذهب للجامعة ميرندا، إنه يحاضر هناك بعض الأحيان».

«لم اكن اعرف ذلك».

حدقت ميرندا بها وتنهدت جوليا «انت لا تعرفين الكثير عن اخي اليس كذلك؟ انا اتساءل هل هذا هو خطأك أم... خطأه هو؟».

حركت ميرندا كتفيها بدفاع «شكراً لك على إخباري على كل حال».

توقفت جوليا واستدارت ميرندا لتغادر لكن بعد لحظة اسرعت جوليا وراءها «ميرندا...».

«نعم؟».

ترددت ميرندا قليلاً لعدم استعدادها لسماع أي ملاحظات أخرى من جوليا لكن الأخيرة قالت شيء غير متوقع بتاتاً.

«إسمعي» قالت «اعلم أن عليك أخذ الأمور ببساطة ليوم أو إثنين لكن ربما كنت ترغبين برؤية بعض معالم الجوار أثناء غياب جيم» ابتسمت وتابعت «استطيع أن أريك الجوار».

اندهشت ميرندا «هذا لطف كبير منك جوليا».

«كلا إنه ليس لطفاً» قالت بسرعة «إنها طريقتي في... في الاعتذار لك... حسناً بسبب سوء حكمي السابق عليك».

التوت شفتا ميرندا «قد آخذ كلامك على محمل الجد!».

«نستطيع الذهاب الآن إذا اردت» اقترحت جوليا فوراً وميرندا التي كانت تخشى بقوة الأيام الطوال التي ستقضيها وحدها حتى عودة جيم كانت اكثر من سعيدة لتوافقها.

ذهبا في الرانج روفر لأن جوليا قالت إنه احسن نسبة إلى ميرندا التي تعافت منذ فترة قصيرة لكن بعد يومين رافقتها ميرندا على ظهر الحصان في الجولة، كانت مونت بارازيو اكبر بكثير مما توقعته ميرندا وكان فيها العديد من المزارع لكن بعيداً في الشمال حيث الأرض الخصبة اكثر كما أخبرتها جوليا وأخذت ميرندا تشعر بسحر خاص

لهذه المنطقة وشعرت أنها بدأت تحب شعورالحرية المتواجد في كل شيء حولها.

«البرازيل هي دولة زراعية في الدرجة الأولى» قالت جوليا وهما في طريق عودتهما إلى المنزل «لا بد انك سمعت عن القهوة البرازيلية طبعاً، لكن هل تعرفين اننا الدولة الثالثة في العالم في تصدير القطن وكذلك الذرة وقصب السكر، القمح والتبغ....».

«انا اصدقك» قالت ميرندا بضحك «والماشية طبعاً».

«آه، نعم اللحوم» وأشارت جوليا نحو قطيع كان على مرآى منهما «لا نستطيع التغاضي عنهم، انستطيع؟».

إحدى الأمسيات أقام آل كارفالو حفلة عشاء، دعوا إليها بعض الاصدقاء من المالكين في الجوار، آل مزيراس والتي كانت ابنتهما سيلفانا بعمر جوليا، خطيب جوليا ميغيل كان موجوداً طبعاً واستمتعت ميرندا بالتجربة العادية بأن تكون محط الاهتمام كان آل مزيراس لطفاء وساحرين وبعد العشاء استأذنت تيريزا وكارلوس برفقة السيد والسيدة مزيراس للعب البريدج، وبقي ميغيل بصبحة الفتيات الثلاثة وكان اكثر من مستمتعاً بهذا العمل، وضعوا الموسيقى وأخذت ميرندا تريهم الحركات الجديدة في الرقص في انكلترا وهم حولها يصفقون بمرح وضحك ثم ارتاها الفتاتين كيفة الرقص البرازيلي فنزلت ميرندا لتقلد هذه الرقصة وهي تهز خصرها بمهارة وترفع قليلاً ثوبها الكريم مظهرة ساقيها العسليتين قليلاً كما هي حركات الرقصة. كانت ترقص بفرح وقد تملكتها صوت الطبول القوية في الموسيقى حين انتبهت لتغير تعابير من حولها وصمتهم المفاجيء، اتجهت بنظرها حيث ينظرون ووجدت جيم على آخر درجات السلالم، كان لم يستحم بعد وبنطاله المغبر وقميصه المجعد يظهران أن وصوله كان للتو.

للحظة ارتعشت ميرندا ثم وفرح فضولي غمرها لرؤيته ثانية ارسل البريق إلى عينيها ودون أن تكترث لما سيقوله من حولها تابعت الرقص وفتحت ذراعيها نحوه تدعوه لمرافقتها بالرقصة.

لو أنه رفض لشعرت بالمهانة لكن بعد لحظة تردد اقترب قاطعاً المسافة بينهما وأحاط خصرها بذراعيه مقربها منه، لقد مضى اكثر من اربع سنوات على آخر رقصة لهما معاً لكن ميرندا تتذكر المناسبة تلك كأنها قد حصلت البارحة فقط، بذراعيه حول خصرها وجسده القوي ملاصقاً لجسدها كان من الطبيعي جداً لذراعيها أن ترتفعان وتحيطان برقبته، نظر جيم أسفلاً إليها ومع أن قربه كان مثيراً لكنها رفضت أن تنزعج لهذا.

«إذن انت لا تزالين هنا» قال بنبرة مبطنة وملامحه متسترة كالعادة.

«هل ظننت انني لن اكون كذلك؟».

«لنقول اني كنت مستعداً للأسوأ».

«وما هو الأسوأ؟» سألته «بقائي هنا... أم رحيلي؟».

قربها منه وقال «هذا يبقى اكتشافه لاحقاً».

تنفس بحدة ثم كأنها كانت بحاجة لموضوع اكثر أماناً سألته «هل كانت رحلتك جيدة؟».

«جيدة بما فيه الكفاية».

«انت لم تخبرني انك سترحل».

ادارها واصبح ظهرها للباقين الجالسين على حافة النافذة يراقبونهم «لقد علمت انك ستكتشفين هذا سريعاً».

«شيكيتا... شيكيتا أخبرتني انك ذهبت إلى بيلوهوريزنتي وجوليا... هي قالت في بعض الأحيان تحاضر في الجامعة هناك».

أحنى رأسه بتأكيد صامت ثم قال «ستحبين بيلوهوريزنتي، إنها

حديثة ومتطورة، بشوارع واسعة والعديد من المحال التجارية».

«ما الذي يجعلك تظن انني بحاجة للمحال التجارية؟» سألته سامحة لأصابعها بالتغلغل داخل ياقة قميصه مدركة أنه شعر بذلك بسبب تجاوب العضلات لها «انا احب المكان هنا، انا فعلاً كذلك، لقد ارتني جوليا كل شيء في الجوار واعلم كل شيء عن كل ما تزرعونه وعن المواشي التي تربونها».

«هل تفعلين؟» قال وعينيه تنظران إلى فمها بشغف «وهل تعلمين ايضاً أن كارلوس هو من يملك مونت بازاريو وليس انا؟».

«اعرف أنه استلم الملكية حين توفي والدك... هو أخبرني ذلك لكنه أخبرني إن هذا المنزل لك والأراضي المحيطة به تماماً».

عادت عيونه لتنظر إلى عينيها «ماذا تقولين؟ انك ترغبين بالعيش في مونت بازاريو؟».

أخذت ميرندا نفساً مهتزاً «الم يكن هذا ما كان يجول في خاطرك....» كانت تبدأ بنعومة حين شدت انتباهها حركة وراء كتف جيم، رجل آخر قد خطى درجات السلم إلى حيث كانا يرقصان، رجل آخر كان يترنح في مشيته قليلاً، رجل آخر وجهه كان شاحباً تماماً... ومألوفاً تماماً ايضاً!.

«بول!» دهشتها كانت عظيمة وصوتها كان مخنوقاً ورفعت عينيها المعذبتين إلى وجه جيم، فمه كان قد أخذ ذلك الإلتواء الساخر وبتلك اللحظة كان بودها أن تقتله.

«نسيت أن اضيف انني قد ذهبت إلى ريودوجانيرو، ايضاً» قال بنبرة عادية فدفعته عنها وذهبت للقاء الرجل الآخر.

«مرحباً، ميرندا» قال بول بصوت شبه مخنوق واتكأ على عامود السلم دون أن يحاول لمسها «اعتقد انك ظننت انني لن انجح

بالوصول إلى هنا».

القت ميرندا بنظرة مدمرة أخرى باتجاه جيم ثم نظرت مجدداً لبول وسألته «ماذا تقصد؟».

«برقيتي» قال بول موضحاً صوته بصعوبة «لقد وصلتك اليس كذلك؟ لكن بالطبع قد وصلتك وإلا فكيف استطاع زو... زو... أي نيفيت معرفة مكاني؟» انهى الجملة بشبه انتحاب وعندها تقدم جيم.

«اخشى انني الملام هنا» قال بنبرة عادية «فقد ابقيت برقيتك سرية كورتني، اردت أن... افاجأ ميرندا».

إحباط ميرندا كاد يقتلها، حدقت بزوجها دون أن تراه مجبرة الدموع التي تجمعت في عيونها على العودة إلى مكانها حتى لا تكتمل فصول إذلالها، كيف باستطاعته أن يفعل هذا بها؟ كأنها مكتوب عليها أن تسأل نفسها هذا السؤال طوال حياتها دون أن تحظى بجواب راضي، بول الذي كان من الواضح توتره وتصلب أعصابه نظر حوله ثم قال «حسناً ها آنذا هنا الآن، وكما ترين مترنحاً قليلاً فوق القدمين».

رطبت ميرندا شفتيها «كنت مريضاً؟».

«بسبب الطيران» قال جيم بنبرة مزعجة «اليس كذلك... بول؟... نعم بول ليس معتاداً على مطباتنا الهوائية الكثيرة وطائراتنا الصغيرة».

«هذا صحيح» طأطأ بول رأسه «انا لم اسافر من قبل أبداً سوى بالنفاثات، حتى هذا اليوم».

أخذت ميرندا عدة انفاس قصيرة حتى تهدأ من نفسها وجوليا وخطيبها وسيلفانا اقتربوا منهم بأدب، قام جيم بعملية التعارف ولا

تعلم إن كانت تتخيل أم لا إلا إنها لمست نبرة السخرية في صوته، بعد كلّ شيء ليس من سبب يجعلها غاضبة بل عليها أن تكون سعيدة ومبتهجة لرؤية بول، وبنظرة قارنت بين ملامح بول الشاحبة ورقته الظاهرة أمام جاذبية وقوة وصرامة زوجها فأدركت بعد أن تذكرت ردة فعلها للمس بول لها إن زواجها من بول اصبح خارج عن المعقول نهائياً الآن.

«والآن إذا سمحتوا لي» قال جيم «سأصعد لآخذ دوشاً، على فكرة ميرندا...» واستدار نحوها وتصلبت فوراً «ربما بول يرغب بتناول بعض الطعام أو الشراب، فقد خسر آخر عشاء له فوق سيت لاغواس».

- ٨ -

تجمعت قبضتاها وهي تحدق به لكن دون فائدة، لم يكن باستطاعتها فعل شيء لتخترق سخريته ومع أن جوليا قالت بصوت شبه مصدوم «حقاً جيم!؟» فهو لم يظهر أي علامة على وجهه، بعد أن غادر الغرفة خف التوتر بدرجة كبيرة ووقفوا وجوليا تنظر إلى ميرندا بعيون متشككة وميغيل وسيلفانا يشعران بوجود توتر ما بالجو.

«انا... أترغب بتناول شيء ما؟» اقترحت ميرندا بتلعثم لكن بول هز رأسه وهو يرتجف.

«انستطيع فقط أن نجد مكاناً نجلس فيه؟» سأل بنعومة وبشعور هائل بالذنب أشارت ميرندا نحو الكنبات.

الموسيقى كانت قد توقفت الآن ولم يقوم أحد بوضع أسطوانة أخرى وبالتالي تتابعت أحاديثهم متقطعة ومتثاقلة.

«إذن فانت لم تعلمي انني كنت في طريقي إلى هنا؟» قال حين

www.elromancia.com

جلسوا ومد يده محاولا الإمساك بيديها.

«كلا» قالت ميرندا ونظرت بسرعة نحو جوليا وتركت مسافة بينها وبين بول «جيم.... جيم دائماً هكذا هو.... يحب... أن يفاجأني».

«لكن، ميرندا...» واقترب بول منها ثم توقف حين تراجعت هي مجدداً «ميرندا ما الذي يجدث؟».

«هل كانت رحلتك من انكلترا مريحة؟» سألته فتنهد بنفاذ صبر.

«على احسن ما تكون» قال وعاود الهجوم «ميرند ألم تخبري نيفيت انك تريدين...».

«ليس الآن بول» قاطعته فوراً، وقبل أن يعلق بكلمة أخرى ظهرت تيريزا، ابتسمت لابنتها واصدقائها ثم توجهت فوراً إلى ميرندا.

«عزيزتي لقد أخبرتني سانشا للتو أن جيم قد عاد» وتوجهت بنظرها إلى بول بتساءل وتابعت «وأنه قد احضر معه شخصاً ما».

«نعم» ووقف بول بأدب على قدميه ونهضت ميرندا بدورها «أي... هذا هو بول... بول كورتني، تيريزا، إنه... إنه صديق» وتوسلت عيناها له ألا يكذب ما تقوله وتابعت «بول... حماتي والدة جيم، سينيورا كارفالو».

عيناه عكستا عدم ثقته بالوضع وصافح يد تيريزا التي قالت بضيافة «هل... أيه... هل يرغب السيد كورتني بالعشاء؟».

«شكراً، لا» أجاب بول «أخشى أن ابنك قد قاد الطائرة بطريقة متهورة على حظي» وأشار إلى معدته متابعاً «اعتقد أن عليّ أن اعطي هذه وقتاً من الراحة حتى تعود إلى طبيعتها».

ابتسامة تيريزا كانت لطيفة ولكن محترسة وادركت ميرندا أن تيريزا لم تعجب بملاحظة بول عن ابنها.

«انت... ستبقى هنا سيد كورتني؟» سألت تيريزا ونبرتها جلبت اللون إلى خدي بول.

«انا... ابنك دعاني» اعلن بدفاع وتأوهت ميرندا من النظرة التي لتمعت داخل عينا تيريزا.

«هكذا» وجمعت يديها معاً «إذن من الأفضل أن اباشر الخدم لتدير غرفة لك، عن إذنك...».

حدقت ميرندا بحماتها الخارجة فيما غرق بول مجدداً بضعف في مكانه، آه يا مسكين، ماذا الآن؟ امسك بول بيدها ونجح بسحبها إلى الكنبة بجانبة وانسحبت جوليا وميغيل وسيلفانا وبقي الإثنان بمفردهما.

«والآن، ما الذي يجري؟» سأل بول باختصار «لقد قدمت إلى هنا بناءً على طلبك وقد عوملت فعلاً وكأنني دخيل...».

«هذا غير صحيح».

«وما هو الصحيح إذن؟ هل سألت... سألته بشأن الطلاق؟».

«إبطال الزواج... نعم».

«و؟».

هزت ميرندا كتفيها «لقد رفض» هذا كان على الأقل حقيقياً.

اصدر بول صوت ينم عن انزعاجه «وهو لم يخبرني أي شيء طوال لطريق من ريو إلى هنا».

ترددت ميرندا ثم سألت «ماذا قال؟».

«ليس الكثير، سألني اسئلة كثيرة حول عملي والعائلة والمدة التي عرفت بها اليك لكن هذا كان كل شيء وبعدها... لقد مرضت الم كن كذلك؟ بعد هذا لم اعد قادراً على قول المزيد، اللعنة على هذا لمجنون!».

«ماذا تقصد».

«اقصد أن زوجك غير صالحاً لقيادة الطائرة» قال بمرارة «يا الله إذا كانت تلك الطريقة الأسرع للوصول إلى هنا فاعطني بغلاً لاتنقل به».

شعرت ميرندا باستمتاع وتسلية ترتفع داخلها من جراء هذا «بالطبع لم تكن رحلتك أسوأ من رحلتي بالسيارة أثناء مجيئي إلى هنا، لقد مرضت لأيام».

«بلاد بربرية» بالطبع بول لم يكن متأثراً بجمال الطبيعة الرائع «اعطني انكلترا دائماً، لا يوجد أي بلد آخر يضاهيها أبداً».

«انا... لا اوافقك الرأي» تمتمت ميرندا بدفاع وحين احست بانزعاج بول تابعت «كيف... كيف هي العمة ليديا؟».

«لم آت إلى هنا للتحدث عن العمة ليديا، اتيت لأكون معك، ظننت انك تحتاجين لي، رسالتك...».

«نعم؟» سألت ميرندا هي تحبس انفاسها.

«حسناً، لقد كانت... غير متوقعة لأكون صريحاً، اقصد انك قلت انك تريدين القيام بهذا الأمر وحدك».

«هل انت آسف على مجيئك بول؟» سألت وهي نصف متمنية أن يكون رده بالإيجاب لكن كجواب شدها بول نحوه وكانت تصارع للتملص من بين ذراعيه حين جاءها صوت جيم.

«لقد نصحتك حين تذهب لتقوم بمصارعاتك في أماكن أخرى، ثرثرة الخدم كما تعلمين».

نهضت ميرندا على قدميها «ذلك لا يزعجك أبداً» قالت وهو هز كتيفه.

«كما أشرت سابقاً انا املك هذا المكان ويحق لي أن افعل ما يحلو لي».

«وعادة تفعل هذا كما يبدو» قال بول بعدائية والتفت جيم نحوه.

«هل انت تتهمني بشيء كورتني؟» سأل بابتسام وهو يتجه نحوه ويداه داخل جياب بنطاله «لأنك لو كنت كذلك...».

«آه، بحق السماء جيم» قالت ميرندا وقد شعرت بالحذر من نبرة جيم الحاملة تهديداً، التهديد المبطن لكن بول رفض الارتداد.

«انت لا تخيفني نيفيت، لقد اقبلت من هم امثالك من قبل، بربريين وهمجيين كلياً ويملكون القليل غير هذا».

«هل هذا هو الأمر؟» زأر جيم وهو يقف أمامه «ومن أي الأنواع انت؟ انا اتساءل؟ انت عندك الشجاعة وانا اعترف لك بذلك، تأتي إلى هنا ونيتك العلنية أن تأخذ زوجتي مني...».

«هي طلبت مني المجيء إلى هنا و...».

«تصحيح... انا طلبت منك المجيء إلى هنا» قال جيم بقسوة «انا ارسلت تلك البرقية لك».

نظر بول إلى ميرندا بذهول «هل هذا...».

«بول، انا...».

محادثتهم النصفية هذه لم تكمّل أبداً.

«انا لا اكذب» قال جيم ببرود «انا ارسلت البرقية لك لأرى بنفسي أي نوع من الرجال الساقطين كان يلهو مع زوجتي».

«زوجتك؟» صوت بول كان ينضح بالإزدراء «أي نوع من الأزواج هو انت؟».

«اتريد أن تكتشف ذلك؟».

شعرت ميرندا بالنبرة المتصلبة العنيفة التي أخذت تلون صوت جيم وتجاوبت معها «ارجوكم، انتما الإثنان تتصرفان كال... كال...».

«أخبرتك أن مفرداتك تعاني نقصاً» قال جيم بلهجة حولت الوضع بكامله إلى تركيز سخيف وشهقت هي من الرعب.

«انت فقط تدعي الغيرة» قال له بصوت مخنوق «بول بحق الله توقف عن جعله يستهزىء بك! ألا ترى؟ إنه لا يقصد ذلك، إنه لا يعني كلمة مما قال».

وبشهقة متقطعة ونظرة يأس نحوهما الإثنين ركضت هاربة من الغرفة متجاوزة تيريزا حتى دون أن تراها.

في غرفتها رمت بنفسها على السرير ولكن الدموع التي هدده بالاندفاع في الاسفل حجرتها الآن واستلقت على سريرها وأخذت تفكر، ما الذي يحدث لقد كانت تشعر بالسعادة القصوى وهي بين ذراعي جيم أثناء الرقص، شعرت إن هذا المكان الذي تريد التواجد به ووجه بول كان آخر وجه تريد أو ترغب في أن تراه، ما الذي يحدث؟ وجه جيم المتصور أمامها هو بسبب قدرته على إثارتها كما لم يفعل أي رجل سابق في حياتها؟ أهو بسبب أنها تريد أن تكون معه؟ اهو بسبب أن كل ذرة في كيانه تقول لها أنها تحبه، تحبه بيأس؟...

سمعت صوت ميزياس وهم يغادرون فجلست على السرير، كيف سيفكرون آل كارفالو بها الآن؟ كيف سيفكر آل ميزياس؟ لكن هي لا تجروء على النزول لتودعيهم فهي لا تجروء على رؤية بول ورؤية جيم.

ظلت متيقظة لبعض الوقت لظنها أن زوجها سيأتي للإطمئنان عليها لكنه لم يفعل، والارهاق والاحباط والتوتر غلباً عليها واغرقاها بالنوم بثوبها الأبيض الذي ارتبط بالأحداث المريعة لهذه الأمسية.

ايقظتها شيكيتا صباح اليوم التالي كالعادة وظهرت عليها الدهشة

بسبب شكل ميرندا المشعث وثوبها.

«لا بأس شيكيتا» طمأنتها ميرندا «لا... لا بد انني استرسلت بالنوم فور صعودي إلى هنا».

«حسناً، سينيورا».

«سآخذ دوشاً الآن، تعرفين ماذا اعني؟».

«آه، نعم سينيورا» وابتسمت شيكيتا قليلاً قبل أن تغادر الغرفة.

احتست ميرندا القهوة ثم عصير الفاكهة الطازج وتناولت القليل من المربى وهي تخمن أن وجود رجل انكليزي في المنزل لا بد وقد أثار الفضولية بين الخادمات وتساءلت كيف يشعر بول هذا الصباح وماذا قال له جيم بعد أن غادرت البارحة. وتساءلت كثيراً عن السبب الذي دفع جيم للتصرف كأنه رجل يثور بغيرة على زوجته فيما كان واضحاً انها لا تعني شيئاً له؟ لقد اراد خيال زوجة، كما قالت جوليا، وليس زوجة حقيقية.

خلعت ملابسها بعد الفطور ودخلت لتستحم ثم ارتدت ملابسها حين انتهت ببطء مختارة جينز اسود وقميصاً بنفسجياً، المظهر كان عصرياً اكثر من أي ملابس أخرى ظهرت بها من قبل ثم القت بنظرة أخيرة على المرآة قبل أن تنزل إلى الطابق السفلي.

لم يكن يوجد أحد في الطابق السفلي بمثل هذا الوقت من الصباح وخرجت ميرندا قليلاً إلى الشرفة لتتنشق الهواء المنعش الرائع في هذه الساعة الباكرة ثم جذبها منظر الفرس ومهرها في الفناء القريب فاسرعت إلى هناك لتداعب الفرس وأتى المهر ايضاً ليمسح بساقيها ويديها.

«صباح الخير، ميرندا» كان هذا كارلوس الذي خرج من أحد الحظائر وأتى ليتحدث معها فاستدارت نحوه بشوق.

«صباح الخير» وابتسمت «إنه صباح رائع اليس كذلك؟».

نظر كارلوس بلهجة مبطنة ما داخل نبرة سؤاله «منطقياً نعم» اعترفت «انا... انا آسفة إذا كنت قد تسببت بالضيق لأصدقائكم ليلة البارحة...».

«غير مهم» وهز كارلوس رأسه فوراً «نحن كنا... قلقين عليك انت» توقف ثم تابع «هذا الرجل كورتني... من هو؟».

ابتلعت ميرندا ريقها بصعوبة «ألم... ألم يخبركم جيم عنه؟».

«لقد قال أنه شخص ما تعرفينه في انكلترا».

«آه!» ولم تعرف كيف تستوعب هذا «هل كان هذا كل ما قاله؟» سألت بضعف تنهد كارلوس الآن وهو يحك رأسه كأنه يجد صعوبة فيما سيقول «هناك... حسناً لقد حصلت مشكلة ليلة البارحة اليس كذلك؟ بين جيم وهذا الرجل؟».

«مشكلة؟» وتمنت ميرندا ألا يظهر صوتها مشتتاً كما هي حالتها الآن.

«نعم، مشكلة» تردد كارلوس «انظري، انا اعرف أن هذا ليس من شأني لكن في الاسبوعان المنصرمان تعلقنا بك جداً واصبحنا نكترث كثيراً لأمرك وسنشعر بالأسف إذا شعرت انك لا تثقين بنا».

«أثق بكم؟».

«نعم» وسحب كارلوس نفساً عميقاً «انا اعرف إن الأشياء تجري بطريقة مختلفة في بريطانيا، اعلم أنه ليس من السهل العيش هناك وانت متزوجة من رجل يبعد عنك آلاف الأميال، لكن هل كان ذلك حقاً خطأ جيم؟ إذا شعرت أنه ليس بإمكانك مشاركته الحياة هنا، ما كان عليك أن تتزوجيه، واعتقد أن هذا ما يشعر به هذا الرجل كورتني ايضاً، الستُ على حق؟».

لم تعرف ميرندا بماذا تجيبه لا تعرف ماذا أخبرهم جيم ايضاً، وحتى تعرف ذلك كيف ستعرف ماذا تقول؟.

ولحسم حظها سمعا صوت أقدام حصان والتفتا ليريا جيم الذي كان يقترب منهما حيث يقفان أمام السور، ترجل عن حصانه حين اقترب وكان وحده.

«مرحباً جيم» حياه كارلوس بمحبة «هل رأيتهم؟».

«نعم، إنهم على طريق ريودوسادو، حوالي ثلاثمائة رأس بالإجمال».

بما أنهم كانوا يتكلمون بشؤون الماشية فالافضل لها أن تنسحب فكرت ميرندا ولكن حين استدارت لتغادر أمسكت ذراع جيم بكتفيها، بالطبع فهو يريد أن يظهر لكارلوس أن شيئاً لم يتغير بينه وبين زوجته بعد وصول كورتني.

دون أن تهتم كثيراً لرأي كارلوس بهذا رفعت ميرندا عينيها إلى جيم وسألته «اين بول؟».

«كنت على وشك إخبارك» قال كارلوس قبل أن ينطق جيم بشيء «لقد أخذته جوليا بجولة على ظهر الفرس هذا الصباح».

«كان هذا اقتراحي» قال جيم بتكاسل «فلا شيء يشابه هواء الله الجيد الصباحي في إزالة كل الانزعاج».

شعرت ميرندا بالمرارة تكبر داخلها «انت ذكي جداً، الست كذلك؟» قالت عبر أسنانها المصطكة لكن جيم اكتفى بالضحك.

«اترى» قال جيم لكارلوس «ما الذي يريده أي رجل اكثر من هذا؟ زوجة مخلصة ومعجبة».

وقبل أن تتمكن ميرندا من التعليق سحبها جيم نحو المنزل وكارلوس الذي كما يبدو شعر بالرضى مما رأى عاد إلى حظائر

الأحصنة وعندها فقط ترك جيم كتفيها وقال بخيبة «آمل انك لم تكوني تخبري كارلوس أي شيء عن الموضوع، فهو لا يعرف أي شيء حول العلاقة بينك وبين كورتني».

«هو يعلم أنه حصلت مشكلة ليلة البارحة» قالت بحدة.

هز جيم كتفيه «والدتي لم تحب الطريقة التي كان يتكلم بها عني، هذا كل شيء».

«طيرانك، اعرف» ونظرت بشك إليه «ما كان الأمر؟ هل كانت المطبات الهوائية كثيرة؟».

«إنها عادة تكون كذلك فوق الجبال» وافقها.

راقبته ميرندا بدقة «وانت قدت الطائرة على مسافة منخفضة اليس كذلك؟» سألته بغضب.

«لنقل اننا قمنا قليلاً بتحليق النسور» أجاب بمرح شيطاني ومع أنها كانت مغتاظة منه إلا أنها شعرت برغبتها بالضحك على هذا.

لكنها لم ترد أن تظهر له استمتاعها بما فعل فسبقته وهدأت من نفسها قبل أن تواجهه ثانية، إلا أنه تجاوزها متجهاً نحو السلالم وكان عليها متابعة الكلام معه.

«إلى اين انت ذاهب؟».

«لآخذ دوشاً» قال بجفاف «اتريدين مرافقتي؟».

تلونت وجنتاها لكنها لم تلتقط هذا الطعم وقالت «يجب أن نتكلم ارجوك».

هز كتفيه واكمل سيره وبعد لحظة تردد لحقت به إلى غرفة الملابس، فتح الباب ودخل الغرفة لكن ميرندا ظلت واقفة على العتبة.

«هل ستدخلين؟» سألها وقد بدأ يفك ازرار قميصه لكنها هزت

رأسها واغلقت الباب واتجهت إلى غرفة نومها من الدرج الأساسي للمنزل.

حين دخلت غرفتها على كل حال وجدته واقفاً على باب غرفة الملابس المفتوح.

«كان هذا دون فائدة، اليس كذلك؟» سألها بسخرية «كل الطرق تؤدي إلى روما كما يقولون».

«ماذا تفعل في غرفتي؟».

«غرفتنا، بكل النوايا والمعاني، وكنت سآخذ دوشاً إذا كنت تذكرين».

«انت عادة لا تستعمل الحمام الموجود هنا».

«كلا» وافقها «لكن انا لا ارى مانعاً في استعماله لأنه شاغراً في هذه اللحظة».

شعرت ميرندا بالتوتر فيما خلع هو قميصه ورماه على الأرض «هلا توقفت عن خلع ملابسك واستمعت لي؟».

«استطيع الاستماع لك وانا افعل...» قال لكنه اكتفى بخلع حزامه دون خلع البنطال وتابع «هيا تابعي إذن، ماذا تريدين أن تقولي؟».

دخل إلى وسط الغرفة وانحنى ليخلع جرابه ثم استقام ونظر مباشرة إليها أغلقت ميرندا الباب الذي كانت لا تزال ممسكة به وسألت «لماذا حقاً ارسلت بطلب بول؟».

«هذا ما كنت تريديه انت اليس كذلك؟».

تنفست ميرندا باهتزاز «لم يكن من داعي لتحضر بول إلى هنا».

«ولم لا؟ ألا يحق لي أن اتفحص بغريمي وبديلي؟».

«بديل؟» رددت ميرندا الكلمة بقسوة «انت لا تعتبر بول كبديل

لك».

تقلصت عينا جيم «ما الذي يجعلك تقولي هذا؟».

احمر وجه ميرندا «آه، توقف عن القيام بالألعاب جيم! انت احضرت بول إلى هنا لتسخر مني! لتسخر منا نحن الإثنين بول وانا! انت عندك نوع خاص من الاستمتاع برؤية الناس يقفزون أمامك ويرتبكون وكما اخبرتني لعشرات المرات انك غير مستعد لتوافق على إبطال الزواج، فلا أرى هكذا أي داعي...».

«ربما قد غيرت رأيي» قاطعها جيم بهدوء وارتعشت من موجة الضعف التي سيطرت على كل ذرة في جسدها.

«ما... ماذا؟».

«قلت، ربما قد غيرت رأيي».

«نعم، نعم اعرف لكن ماذا تقصد؟».

«ماذا تعتقدين انني اقصد؟ بالطبع القصد واضح، انا افكر بإعطائك حريتك، هذا ما ترغبين به، اليس كذلك؟».

استدارت ميرندا لتتمسك بعامود السرير بأصابع مرتجفة. كانت تشعر بالضعف الهائل والذي سببه لم يكن جسدياً بل السبب هو كلمات جيم.

ودون أن تدرك تماماً شعرت بوصول جيم وراءها وانذهلت حين أمسك بخصلة من شعرها وقربها من فمه بعد أن تركها تنساب من بين أصابعه.

كان هذا اكثر من مداعبة، اكثر حساسية من قبلة كأنه كان يمتلكها يضمها إليه، استولى عليها، تنفس بتقطع ورفعت نظرها إليه ولم تجد أي أثر من السخرية داخل اعماق عينيه.

«مذاق شعرك جيد» قال بصوت مبحوح «ارتديني أن أرى كيف هو

مذاق الباقي منك؟».

بالكاد عرفت ميرندا ما كانت تقول «نحن... نحن لا نستطيع» احتجت بنبرة ضعيفة «إنها... إنها الحادية عشرة صباحاً، قد يدخل أحدهم...».

«لن يفعل أحد ذلك» طمأنها بنعومة وهو يفك ازرار قميصها وينزله عن كتفيها «هي ميرندا... انت تريدين هذا بقدر ما اريده انا».

ادركت أنه لا يتفوه إلا بالحقيقة وحين اخفض رأسه ليداعب كتفيها بشفتيه امتدت يداها لتلامس صدره بلهفة ورغبة وتحركت شفتاه صعوداً حتى أطراف فمها ثم قبلها وما بدا ناعماً ولطيفاً بدأ يصبح شغوفاً وقوياً.

«انت لن تمنعيني استفعلين ميرندا؟» همس قرب شفاهها والتجاوب الذي اعطته إياه كان اكثر من أي كلام.

«لا تتكلم» تنهدت بشوق وبصوت كامل الرضى رفعها إلى السرير... وانضم إليها فيه.

لم تكن ميرندا تصدق ما كانت تقرأه أن بإمكان جسدين الإلتحام ليصبحا جسداً واحداً سابحا في بحار النشوة والمتعة، لكن ليتها هذه مع جيم ثبتت لها ذلك فهو كان مدركاً تماماً لطرق إثارتها ولم يذوب فقط خوفها بل جعلها تتجاوب معه بأقصى درجة وللحظة فقط احست بالألم وشهقت من الألم والمتعة وعادت لتغرق مجدداً في لجج البهجة.

وحين انتهيا نزلت من الأعالي بتردد حقيقي وظلت ملتصقة به ومتمسكة بقربه منها.

«حسناً؟» قالت بعصبية دون أن تحاول الابتعاد عنه وتحركت يداه لتحبسان وجهها بين يديه.

«إذن فقد كنت ان الأول» تمتم بصوت مبحوح.

«هل كنت تشك بذلك؟».

«آه، نعم» قال بنعومة «طوال الوقت... هل آلمتك؟».

أعصاب ميرندا رفعتا شهقة صغيرة إلى فمها «هل آلمتك؟» رددت بصوت مرتجف وابتسامته الخفيفة فجرت كل العشق الذي يتخبط داخلها نحوه.

«اعتقد انني استطيع تحمل ذلك» طمأنها بنعومة ودفنت وجهها في صدره.

«انا احبك...» همست دون أن تكون قادرة على منع الكلمات من الخروج من فمها وتنهدت بحب قبل أن تعود شفتيه إلى فمها.

بعد بعض الوقت دفعها جيم بنعومة بعيداً عنه ونزل من السرير «اعتقد أنه يجب علينا النزول لتناول الغداء» تمتم وهو ينظر إليها بحنان واتكأت ميرندا على كوعها حتى تمتد وتلمسه.

«انا لست جائعة» احتجت وابتسم هو.

«انا كذلك» قال «لكن ليس للغداء» وقبل أن تغويه اكثر مشى بتعمد نحو الحمام.

بقيت ميرندا حيث هي تستمع لصوت المياه داخل الحمام وجيم يستحم كانت مترددة بالخروج من حالة النشوة التي كانت لا تزال تشعر بها والتفكير بما حصل وما يعنيه...

خرج جيم بعد قليل وهو يضع منشفة حول وسطه ثم اتجه نحو غرفة الملابس وسمعت ميرندا صوت جوارير تفتح وتغلق وصوت باب الخزانة ثم خرج جيم بعد هذا مرتدياً بنطالاً ازرقاً فاتحاً وقميصاً مناسباً.

«له ستنهضين؟» سألها بتكاسل وكانت تشعر برغبتها لشده إليها

مجدداً ولكنها قاومت رغبتها هذه بسبب وجود نزولهما إلى الاسفل.

«جيم...» لم تعرف كيف تبدى الموضوع لكن يجب عليها مناقشة هذا الموضوع «جيم، ماذا عن بول؟».

للحظة واحدة فقط شيء ما التمع داخل عينيه ثم اختفى وقال «ماذا عن بول؟» وكان هناك أثراً من القسوة في صوته وهو ينطق إسم الرجل الأخر.

www.elromancia.com

- ٩ -

رطبت ميرندا شفتيها «هل... أي، اتريدني أن اتكلم معه؟».

استمر الصمت بعد هذا لفترة ظنت ميرندا أنها قد تفوهت بشيء خاطيء، ثم أخيراً هز جيم رأسه.

«كلا» قال بصرامة «كلا، انا سأتكلم معه».

تململت ميرندا مكانها «ماذا ستقول له؟».

تقصلت عيناه «ماذا تريدينني أن اقول له؟».

«هل عليّ... هل عليّ انا أن اخبرك؟».

قطع جيم المسافة التي بينهما بخطوتين وقال لها بحشرجة «ضعي بعض الملابس عليك».

«حسناً» قال بنفس متقطع وبتحية محببة منه غادر الغرفة.

حين نزلت ميرندا بعد حوالي نصف ساعة كان بول وجوليا يجلسان مع والدي جيم على الشرفة يتناولون شراباً مرطباً قبل تناول الغداء

فانضمت ميرندا إليهم وطلبت الشراب ذاته لها ايضاً، لكن لم يكن من أثر لجيم وأخذت تتلفت حولها بحثاً عنه لكن دون جدوى.

«جيم ليس هنا» قالت تيريزا كأنها احست بسؤال ميرندا «لقد ذهب إلى فالنتس».

«فالنتس؟!!».

اصيبت ميرندا بالذهول، فالنتس كانت تبعد مئات الأميال عنهم، لماذا لم يخبرها هو بهذا؟.

رأت بول ينظر إليها وخمنت أنه كان يتساءل بماذا تفكر من الواضح أن جيم لم يخبره أي شيء نظراً لملامحه وتصرفاته العادية.

«ما كنت تفعلين ميرندا؟» سألها بول الذي أتى وجلس مكان كارلوس بجانبها الذي ذهب لإحضار الشراب لها «لقد حضرنا انا وجوليا من جولتنا منذ ساعة ولم تكوني انت هنا؟».

استرخت ميرندا في كرسيها متمنية ألا يتكلم بول معها. كانت بحاجة للوقت لتفكر وتحاول أن تفهم ما الذي كان يفعله جيم بها، لماذا لم يخبرها أنه ذاهب إلى فالنتس؟ لماذا لم يتكلم مع بول؟ ألا يهتم أن الرجل الآخر كان لا يزال هنا، لا يزال يظن إنها تريد الطلاق؟ استدارت نحو تيريزا وسألت «كم... كم ستطول غيبة جيم؟» ورأت النظرة التي تبادلتها تيريزا مع ابنتها.

«انا...» كان واضحاً أن تيريزا غير مرتاحة «انا... لست أكيدة» قال أخيراً وهزت جوليا رأسها قليلاً بموافقة.

«لكن لا بد انك تعرفين».

«هاك شرابك ميرندا» قال كارلوس الذي أحضر لها الشراب وبهذا قاطعهم وحين ارادت ميرندا معاودة الحديث مع حماتها وجدتها قد انشغلت بالتحدث مع جوليا، هل كان خيالها يهيء لها أم أن تيريزا

وجوليا تتعمدان عدم التحدث معها؟ هل لهذا علاقة ما ببول؟ هل قال شيئاً ما؟ آه لماذا لم يكن جيم هنا ليحل كل هذه الإشكالات؟ انتهوا من الغداء وكانت ميرندا تتحاشى التحدث مع بول رغم محاولاته ولكن بعد الغداء انفرد بها في غرفة الجلوس واغلق الباب رغم احتجاجاتها واقترب منها بتصميم.

«الآن» قال بنفاذ صبر «عليك إعطائي بعض الشروحات».

«آه! بول» وجمعت يديها بعجز معاً «انا... حسناً، انا اتمنى لو انك لم تتكبد عناء الرحلة».

«الرحلة؟» حدق بها «ماذا تقصدين؟».

«انا لن اطلق جيم وهو لن يطلقني».

«هل جننت؟».

«إنها الحقيقة بول، نحن... انا... انا احبه، واظن انني كنت دائماً كذلك».

«لا بد انك جننت، انْ لا تحبينه».

«بلى، بلى».

«وماذا عنه هو؟ هل هو يحبك؟ هل لهذا ارسل بطلبي إلى هنا؟ لآخذ المرأة المرأة التي يحب من بين يديه؟ انضجي ميرندا بحق الله».

«ليس الأمر كذلك، بول قبل... قبل مجيئك، انا لم اكن متأكدة...».

«والآن انت متأكدة؟».

«نعم».

«وما الذي جعلك تغيرين رأيك انا اتساءل؟» وتقلصت عيناه بخبث «اهو ذلك الذي حصل في سريركما منذ قليل قبل ذهابه إلى

فالنتس؟».

«وما الذي ادراك انت بهذا؟».

الاعتراف الرهيب صدر منها قبل أن تستطيع نكران ذلك والتوت شفتا بول بازدراء «ما الذي أدراني انا بهذا؟ انت لا تتخيلين أن زوجك قد أخبرني بذلك اليس كذلك؟ با الله هو لم يستطع الانتظار على التوضيح إنه مهماً كان الذي حصل بيننا، فساحصل انا على الدرجة الثانية».

«انا لا اصدقك».

ميرندا قد شحبت كالموت لكن بول كان بلا رحمة «افعلي ما تشائين بالقرار يعود لك».

سحبت نفساً مهتزاً «متى... متى تكلم معك؟».

«متى تعتقدين؟ قبل ذهابه إلى فالنتس طبعاً».

«وهل... هل قال لك لماذا ذهب إلى هناك؟ إلى فالنتس اعني؟».

«كلا، لكن تخميني هو أنه يأمل في أن اتمكن من إقناعك بأن تقومي بالعمل المشرِّف ألا وهو أن تتركي المنزل قبل عودته».

«هذا هو العمل المشرِّف؟».

«حسناً، دعينا نواجه الأمور ميرندا انك تتعاملين مع حصان ميت هنا».

امسكت انفاسها «انت لا تعرف شيئاً عن هذا الأمر».

«اعرف ما فيه الكفاية، اعرف مثلاً انك اصبحت موضع إحراج له».

«موضع إحراج؟».

«بالطبع، انظري ميرندا هو لم يريدك هنا بتاتاً هو تزوجك فقط

ليبعد والدته عن ظهره، فهي متشوقة جداً لتزويجه من إحدى الفتيات. . .».

شهقت «كيف تعرف ذلك؟».

هز بول كتفيه «استطيع أن اكذب واقول أن زوجك هو من أخبرني لكني لست مضطراً لهذا، كلا في الواقع شقيقته هي التي زودتني بهذه المعلومات، اعتقد انها قد اوضحت هذا لك انت ايضاً».

رفعت ميرندا يدها المرتجفة إلى رأسها «لا استطيع فهم هذا. . .».

اقترب بول منها «ليس عليك فهم هذا، ليس الآن على الأقل عزيزتي، مكانك ليس هنا، انت تعرفين ذلك وانا اعرف ذلك ايضاً، ويبدو كأنه آل كارفالو يعرفون هذا بدورهم ايضاً، عودي إلى الديار معي. . . إلى انكلترا إلى العقل».

ابتعدت ميرندا عنه، آخر شيء كانت تريده الآن هو تقبل محاولة تعاطف بول معها، التعاطف والشفقة شيئان تستطيع العيش دونهما، لكنها لا تحبه لم تكن كذلك أبداً، والآن هي لا تعتقد أنها حتى مجرد معجبة به.

«انا. . . انا اعتقد إن عليك المغادرة» قالت أخيراً بنبرة بطيئة وهادئة.

«ماذا؟» وظهرت الدهشة الكاملة على وجهه.

«لقد سمعت ما قلت».

«وماذا ستفعلين؟».

«انا» ورفعت رأسها عالياً «انا سأبقى هنا».

«انت مجنونة».

«ممكن، لكنك نسيت انا زوجة جيم، لا شيء بإمكانه تغيير ذلك،

ليس الآن».

«ألا تعتقدين ذلك؟ لا تكوني واثقة من ذلك، إنه كاثوليكي اعرف هذا، لكن لهم طرقهم الخاصة هنا حيث الكنيسة هي كل القوة. لقد أتيت إلى هنا بطلب إبطال الزواج اتذكرين؟ وإذا رغب نيفيت بهذا فسيحصل عليه، صدقيني».

تجمعت يدا ميرندا بقبضة «اظن أنه من الأفضل لك أن ترحل».

«وكيف مفترضاً بي أن اصل إلى الساحل؟».

فكرت بصعوبة «اعتقد أن مدير أعمال كارلوس يستطيع أن يقود الطائرة الصغيرة، يستطيع نقلك بها».

«ماذا؟ السفر بالطائرات الصغيرات ثانية؟ كلا، شكراً لك».

«إذن سيكون عليك الانتقال عبر النهر وأخشى انني لا اعرف شيئاً عن وسيلة النقل هذه».

حدق بول بإحباط بها «وانت حقاً ستبقين هنا؟».

«نعم».

«لماذا؟».

«لقد أخبرتك. . . لأنني احبه».

«آه، ميرندا. . .».

استدارت عنه على كل حال ولم تتوقف عن الابتعاد إلا حين سمعته يصفق الباب وراءه عندها تبعته بدورها وساقاها ترتجفان وغادرت الغرفة.

كارلوس كان يخرج من غرفة مكتبه والآن نظر بشك نحوها «ميرندا» قال بدهشة «هل هناك شيء ما؟».

أخذت نفساً عميقاً «ليس تماماً، السيد كورتني يريد الرحيل، هل هناك وسيلة ما لإيصاله إلى ريو؟».

حدق بها كارلوس بدهشة لعدة لحظات قبل أن يستجمع نفسه بصعوبة واضحة «هو... سيسافر... سيسافر بمفرده؟».

احمر وجه ميرندا «نعم».

«هكذا» وهز كارلوس رأسه بارتباك ثم رمش عينيه مفتشاً عن الكلمات «انا... جوان يستطيع أن يطير به إلى بيلوهيورزنتي، وهناك سيستقل طائرة نقل داخلي إلى ريو».

«سأخبره بذلك» قالت بصرامة «شكراً».

كانت ستستدير لكن كارلوس أمسك ذراعها وادارها لتواجهه «ميرندا... لكن... نحن اعتقدنا...».

«انا سأبقى» اعلنت بحزم «انت لا تستطيع إجباري على المغادرة».

«يا طفلة، يا طفلة» قال كارلوس بذهول «نحن لا نريدك أن تغادري، ما الذي اعطاك هذه الفكرة؟».

ارتجفت شفتا ميرندا «على الغداء...».

«على الغداء؟» سألها.

«شعرت... شعرت أن وجودي عدم مرغوب به».

تنهد كارلوس بتثاقل «اخشى أن هذا هو خطأ جوليا، اترين، لقد خرجت للركوب مع السيد... السيد كورتني هذا الصباح و...» فتح يديه «لقد أخبرت والدتها انك وهو... كنتما... كنتما مرتبطين، لا بد أنه قال لها شيئاً ما، لا استطيع التصديق إن جوليا...».

«آه، كلا» هزت ميرندا رأسها وشعرت بالثقل ينزاح عن كاهلها، الآن ليس عليها سوى مواجهة جيم «بول يتكلم كما يحلو له و... نحن... نحن كنا اصدقاء أو اكثر من ذلك بقليل، لكننا لم نكن

عاشقين أبداً وبتاتاً».

«وزيارتك إلى هنا؟ ألم تكن دافعها هذا الرجل».

أحنت ميرندا رأسها «آه، نعم، نعم» ورفعت رأسها إليه «لكن بعد أن عدت ورأيت جيم مجدداً...» رفعت كتفيها بتعبير «اتستطيع تفهم الوضع؟».

ابتسم كارلوس قليلاً «انا لست كهلاً كفاية كي لا اعرف كيف هو الوقوع بالحب» وهز رأسه «الكثير من الكلمات، الكثير من سوء التفاهم، لكنك شابة وأمامك كل حياتك بعد».

شعرت ميرندا بوخز الدموع خلف عينيها «انا لا اعرف ماذا اقول...».

«اتركي الأمر لي، انا سأخبر تيريزا... وجوليا سترين سيكونان مبتهجتان مثلي تماماً».

وجيم؟ فكرت بصمت لكن الكلمات ظلت دون جواب.

- ١٠ -

رحل بول بعد ظهر ذلك اليوم وودعته ميرندا وتمنت له رحلة سعيدة، ناولها هو رسالة من العملة ليديا فوضعتها في جيب بنطالها. لم يكن من السهل عليها قطع آخر خيطاً لها مع انكلترا لكن انتمائها إلى هنا الآن إلى جيم ومهما كان رد فعل جيم فستقبله في حينه وستقاوم فالبرازيل هي بلاد النساء القويات الشكيمة وستحاول قدر استطاعتها تثبيت زواجها من جيم فهي بإمكانها نأن تثيره اليس كذلك؟ فكرت بقوة والزيجات تستطيع أن تبني على أسس أقل اهمية من هذا.

حين اقترب الليل ولم يأتي جيم بعد بدأ الإحباط يسيطر عليها ونزلت لمشاركة والديه وشقيقته العشاء بعد أن امضت وقتاً اطول على المرآة للاعتناء بمظهرها واعادت اللون لخديها وكحلت عينيها ثم ارتدت ثوباً كان بدوره مميزاً فقد كان من الشيفون الأسود الطويل وارتدت معه عقداً الماسياً وقرطاً طويلاً واسدلت شعرها النظيف اللامع على كتفيها.

«يا عزيزتي» قالت تيريزا بإعجاب وهي تتأملها بفرح وإعجاب «انك تبدين رائعة، نحن فرحين جداً لأنك قررت البقاء هنا».

«نحن حقاً كذلك» رددت جوليا بدورها «انا آسفة لأني تسببت لك ببعض الإزعاج أثناء الغداء ميرندا، لكن بول كورتني...».

«اعرف، اعرف» قالت ميرندا ورطبت شفتيها متابعة «هل... هل اوضح كارلوس لكما...».

«... انك وبول كنتما أصدقاء؟ نعم» وابتسمت تيريزا «لقد فهمنا أنه لم يكن صديقاً لجيم، فكرههما لبعضهما البعض كان واضحاً منذ لحظة التقاءهما».

ابتسامة ميرندا كانت عصبية، هل كانا حقاً كذلك؟ كارهين لبعضهما منذ لحظة التقاءهما؟ أم هل كان هذا محاولة إذلال جديدة من جيم؟ يبدو كأنها قد قضت حياتها كلها محاولة التخلص من إذلاله لها.

«لا تهتمي» تابعت تيريزا «كل شيء قد انتهي الآن، فقد رحل وها انت هنا».

لو فقط كان الأمر بمثل هذه البساطة فكرت ميرندا وهي تتناول طبقها من على المائدة، لكنها كانت قد أختارت فراشها وعليها الآن الاستلقاء عليه.

استمر العشاء الطويل لكن أحداً ما العائلة لم يتحدث عن جيم أو ينطق بإسمه كأنهم شعروا أن مشاغل ميرندا المقلقة تكفيها دون تعريضها للإحراج بالتحدث عن جيم في هذا الوقت.

صعدت إلى غرفتها أخيراً وخلعت العقد ووضعته بإهمال على

طاولة الزينة من الواضح أن جيم لن يأتي إلا غداً فكرت بترقب. وبما أن الطقس كان حاراً جداً فقد فتحت النافذة وأخذت تتنشق هواء الليل العليل حيث سمعت بعد قليل صوت غير عادي، كأنه صوت طائرة أو هليوكوبتر وبالفعل فقد حطت طائرة قرب الاسطبل وترجل منها شخصاً ما وتوجه نحو البيت، تصلبت ميرندا بالتأكيد أنه جيم، فمن غيره يخاطر بالسفر ليلاً فوق الجبال، أحست بالارتعاش، من الممكن أنه سيذهب إلى غرفة الملابس مباشرة لكن كلا لا بد إنه سيمر ليرى إن كانت قد رحلت، سمعت صوت خطواته على الدرج وتقلصت برعب بجانب الحائط حيث فُتح الباب على مصراعيه وغمر الضوء الغرفة.

لم تكن ستصاب بالصدمة كما هي حالها الآن لو أنه قد تسلل إليها بالظلام، الهجوم الغير متوقع للضوء كان له الأثر الكبير على مشاعرها المتوترة وغرقت خلف الستائر مراقبة إياه من بين الطيات.

رأت الطريقة التي توجهت بها عينيه إلى سريرها وكيف قست ملامحه حين لم يجدها فيه، لكن قست لم تكن الكلمة المناسبة، تساءلت فبصوت حزين وقف مكانه واغلق الباب وهو يضع أصابعه في شعره بحركة إنهزام غريبة، ثم قبل أن تجد الجرأة لتتحرك من مكانها رأته يغرق على السرير واضعاً رأسه بين يديه بمرارة.

وعندها، عندها عرفت كأنه قد كتب لها الحقيقة... لقد ظن أنها قد رحلت مع بول! بطريقة ما هو قد ظن أنها قد رحلت مع الرجل الانكليزي! وكان يشعر بالمرارة والتبعثر.

ابتعدت قليلاً عن الحائط وحالما فعلت هذا حشرة ضخمة، جذبها الضوء دون شك، طنت بجانب أذنيها، ارتعشت برعب واطلقت صرخة مذعورة ودخلت الغرفة دون مقدمات صافقة باب النافذة وراءها وحالما فعلت هذا نهض جيم على قدميه وحدق بها.

«ميرندا!» صرخ بعدم تصديق ثم «ميرندا» قال بصوت اكثر برودة وتساءلت إن كانت قد تخيلت فقط عذابه.

«مرحباً جيم» قالت بصوت مهتز انا... انا سمعت صوت الطائرة...».

التوت شفتيه «هل لهذا اخترت الاختباء في الشرفة؟ هل سعدت بمراقبة ردة فعلي؟».

«مراقبة ردة... كلا» تلعثمت «انا... انا كنت بانتظار عودتك، حين دخلت...».

«نعم؟».

تنهدت وتابعت «إذا اردت أن تعرف نعم كنت ارغب برؤيه ردة فعلك...».

«لم تقولي هذا» قال بحدة «يا الله كيف كنت تتوقعين أن تكون ردة فعلي؟ لقد ظننت انك قد هجرتني».

جمعت ميرندا دفاعاتها وتقدمت خطوة «لماذا... لماذا أخبرت بول عنا إذا كان هذا ما تشعر به؟ لماذا جعلته يظن انك تريدني أن ارحل؟».

«ماذا؟» صرخ وكانت دهشته حقيقية فعلاً «ماذا بحق الجحيم تقولين؟ انا لم اتكلم مع كورتني منذ خروجه مع جوليا هذا الصباح».

«ألم تفعل؟» وقفز قلب ميرندا من مكانه «إذن... إذن كيف عرف... بشأننا» خلع جيم سترته وربطة عنقه ورماهما بعدم اكتراث إلى الكرسي، بدا عليه التعب بوضوح الآن وشعور بالحب غمرها نحوه.

«جيم...» همست «هل انت تريدني حقاً أن ابقى؟».

توقعت منه أن يقترب منها ويأخذها بين ذراعيه ليظهر لها كم

يريديها أن تبق لكنه لم يفعل، بل خلع حذاءه وجواربه ورمى بنفسه على السرير وإحدى يديه فوق جبينه.

«ما هو هذا السؤال السخيف الغبي؟» قال دون أن ينظر إليها «ميرندا، انا متعب جداً ومرهق لإكمال هذه المناقشة».

تفجر غضبها وقالت «انت متعب ومرهق، كيف تظن انني اشعر؟».

انزل جمي ذراعه وحدق بها بعينين متقلصتين «أنظري» قال بصراحة «انت وهذا حتى الآن كل ما يهم».

«الأمر يهمك إذن؟».

اغلق جيم عينيه للحظة «بالطبع هذا يهمني» قال بتعب.

«حسناً، إن لك طريقة مضحكة في إظهار هذا الأمر».

«لماذا؟» وفتح عينيه مجدداً «ميرندا لقد عانيت يوماً كالجحيم تماماً اتعلمين ذلك؟ وماذا حدث بنهايته؟ عدت للمطار لأجد الطائرة قد رحلت وحين أخبروني أن الرجل الأنكليزي قد غادر على متنها سألت إن كان بمفرده... ولم يعلم أي احد إن كان بمفرده فعلاً، اتستطيعين تصديق ذلك؟ لا أحد يعرف! ما ادراني ما قد يكون قد أخبرك؟ ما قد اقنعك به؟ وانت تلعبين لعبة التخفي على الشرفة! حسناً ميرندا، لقد حصلت على ما تريدين، تفكيري بانك قد رحلت قد قضى عليّ فعلاً، لكن لا تطلبي مني أن احوم حولك هذه الليلة شاكراً إياك لحفاظك على عقلي ومنعي من الجنون، وبأن ارد على اسئلتك حول كيفية معرفة كورتني بشأننا! بحق السماء كيف له ألا يعرف بشأننا؟ انت زوجتي».

ارتجفت ميرندا «هل تحبني جيم؟».

تنهد جيم ونهض عن السرير واقترب منها وانزلقت يديه من كتفيها حتى ذراعيها العاريتين وأحاط بخصرها «احببتك منذ اللحظة التي

نظرت بها الي بعينين حاقدتين عبر الطاولة المشوهة في عيد ميلادك العاشر» قال لها بهدوء «الآن تعالي إلى السرير وتوقفي عن القيام بهذه الألعاب السخيفة».

رفعت ميرندا رأسها المتعجب إليه «انت... انت... من غير الممكن أن يكون هذا صحيحاً».

«لم لا؟» سألها بصبر وأصابعه تجد سحاب الثوب وتنزله وارتعشت ببهجة حين هب هواء الليل البارد على جسدها الحار.

«انت... انت لم تقل ذلك أبداً...» قالت.

«الظروف كانت دائماً ضدنا» قال وهو يضع يديها الراغبتين على صدره.

بعد ساعات ضوء القمر كان يغمر الغرفة ويتسلل من النافذة مضيئاً خطوط ذقن جيم المتنامية.

«انت بحاجة لحلاقة» قالت له بتناعس وحف ذقنه الخشنة بإغاظه على كتفها الناعم.

«الآن؟» تمتم لكنها هزت رأسها والتصقت اكثر به، ثم تنهد وقال «أخبريني عن كورتني انا بحاجة لأن اعرف».

«الأمر غير مهم» قالت لكنه رفع ذقنها وأجبرها على النظر إليه.

«هيا...».

تنهدت ميرندا «بول... بول أخبرني انك... حسناً... انك أخبرتك اننا... أن هذا الصباح نحن قد...».

«مارسنا الحب؟» اقترح بنعومة وطأطأت رأسها.

«نعم».

«وصدقت انني قد افعل شيئاً كهذا؟».

التصقت به «وما الذي كان عليّ التفكير به؟ كيف كان بإمكانه أن

يعرف بغير هذه الطريقة؟».

«لماذا؟ ما الذي حدث؟».

«لقد نزلت إلى الطابق السفلي ووجدتك قد رحلت».

«لقد أخبروك انني قد ذهبت إلى فالنتس اليس كذلك؟».

«حسناً، نعم لهذا السبب كنت مستعدة لتصديق الأسوأ، لماذا لم تخبرني انك كنت ذاهب إلى هناك؟».

«ولماذا لم افعل...» توقف ثم اتكأ على كوعه وحدق بها «يا إلهي، هم أخبروك لماذا ذهبت ألم يفعلوا؟».

رمشت ميرندا وقالت «كلا» ثم قطبت وتابعت «آه كان الأمر سريعاً! الغداء اعني، والدتك وجوليا كانا بالكاد يتحدثان معي» توقف فجأة «اظن إنه لهذا هم لم يخبروني».

«ميرندا، ميرندا» قال بنفاذ صبر «انت لا تتكلمين بمنطق لماذا لم يريدا والدتي وجوليا التحدث معك؟».

«انت لا تعرف اليس كذلك؟» ورفعت يدها لتلمس وجهها وامسك هو بيدها وأخذ يقبل راحتها «همم، لا تفعل ذلك».

«لم لا؟ ألا تحبين هذا؟».

«بلى كثيرا» اعترفت بتنفس لاحت وانحنى هو وغطى بفمه ثم ابتعد عنها مجدداً مخيباً أملها «ايجب علينا التحدث؟» سألت باعتراض لكنه هز رأسه وبتردد تابعت.

«بول... بول أخبر جوليا أنه وانا... إن بيننا تفاهماً...».

«أولمح لها بذلك» قال جيم بجفاف.

«اعتقد هذا» وافقته ميرندا.

تنهد وقال «لقد بدأت افهم، إذن لم تعرفي لماذا غادرت انا إلى فالنتس؟» وشدها إليه مجدداً «ذكريني أن اعوض لك عما قلت سابقاً،

ماذا بحق السماء كنت تفكرين طوال النهار؟».

ضحكة ميرندا كانت قصيرة «كان هذا جزءاً منه على كل حال».

«لكن لماذا بحق الجحيم لم يخبروك بسبب رحيلي لاحقاً؟ أم إنهم لا يزالون لا يتكلمون معك؟».

هزت ميرندا رأسها «لم يكن الأمر بهذه السهولة، أترى، بعد الغداء أخبرني بول انك قد... حسناً ما ادعى انك قلته له... وهو انك... انك تتوقع مني الرحيل قبل عودتك من فالتنس... وأخبرته انني لا اكترث وانني سأبقى على كل الأحوال، انا... حتى لو انك كنت ستفعل ما كان يقوله فانا اردت أن استمع لهذا منك انت شخصياً، بعد... بعد ما حصل بيننا، لم اكن اصدق إنه من المعقول أن اتمكن من الحصول على فرصة بتغيير رأيك...».

«يا لها من فرصة» قال جيم وهو يدفن وجهه في شعرها «لو انك رحلت مع كورتني كنت سأقتلك».

كاد تنفسها أن يتوقف «اكنت ستفعل؟».

سمعت حشرجته المحتجة «كنت سأرغب بذلك».

«ولهذا فقد بقيت» قالت بصوت لاهث بعد مقاطعة أخرى «كارلوس صدقني حين أخبرته إنه ليس هناك أي شيء بيني وبين بول وهو أخبر الآخرين لكن كما تتصور الغداء كان مناسبة تعيسة».

«واحداً منهم لم يذكرني؟».

«اظن أنهم تجنبوا الحديثي بمواضيع خاصة» اعترفت بصراحة «وبعد كل شيء هم لم يكونوا يعرفوا ماذا قال لي بول».

«كلا» وافقها جيم بتفكير «الرجل الحاقد هو كالمرأة الحاقدة تماماً كما اظن».

«هذا ما قاله...».

«ماذا قال؟».

«انك قد... قد دفعتني لمشاركتي الفراش معك».

«وقد فعلت حقاً».

ضربته بيدها على صدره قليلاً «بائس» قالت بحب «لكن كيف عرف هو؟» هز جيم كتفيه «استطيع التفكير بعدة طرق فقد اختفينا سوياً لفترة طويلة من الوقت وقد يكون أحد الخدم قد أخبره اننا قد دخلنا غرفة النوم سوياً» توقف «وحين تركت انا كان عندك... بريقاً خاصاً داخل عينيك».

«آه، جيم» همست «انت لا تعرف اليوم الرهيب الذي مررت به».

«ألم يعوضك الليل عن كل ذلك؟».

غرزت أظافرها بلطف داخل جلد ظهره «انت خبيث...».

قبلها مجدداً ثم قال «انا ايضاً لم امر بيوم مثل هذا اليوم».

«طبعاً» قطبت «فانا لا ازال غير عالمة بسبب ذهابك إلى فالنتس».

تنهد جيم «ألا تزالين تذكرين ما كانت قد قلته لك عن كونسلو؟».

«المرأة التي ولدت الطفل قبل الأوان؟».

«هذا صحيح، لقد توفيت اليوم».

«آه، جيم» وحدقت به بحب «هذا كان سبب...».

«أتى فاسكو ورائي بعد أن تركتك فوراً كان بحالة مريعة كانت تنزف بغزارة وكان عندي الوقت فقط لاذهب إلى سانتا مادلينا والارسال بطلب طائرة الهليوكوبتر من المحطة من فالنتس».

داعبت ميرندا خديه «انا آسفة» ترددت «والطفل؟».

هز جيم كتفيه «قد يعيش، إنه في المستشفى الآن، ومن سخرية القدر أنه لو نجا ففاسكو لن يكون قادراً على الاعتناء به، قد يرسل إلى الارسالية مع نصف دزينة من أخوته وأخواته» وتابع ووجهه يعكس

إحباطه «لو أنه فقط سمح لي بالاعتناء بها قبل اسبوع...».

«ليس الخطأ خطأك» قالت ميرندا بلطف ورامیا حزنه استدار نحوها مجدداً.

«نعم اعرف لكن الخسارة بأي اوجهها لا تروق لي» ابتسم «لهذا انا اعيش هنا وليس في انكلترا، ليديا بإمكانها تولي امر الممتلكات هناك، إنها لا تحتاج لي لكن سانتا مادلينا تحتاج لي جداً».

«وانا؟» قالت بإغاظة.

«آه، انت تحتاجين لي» طمأنها بصوت مبحوح «وهذا أمر جيد لأنني احتاج لك انا ايضاً».

«لماذا لم تخبرني بهذا ابداً من قبل؟» احتجت.

«متى؟ حين عدت لأراك لاعرف فقط انك على وشك الزواج من مارك».

«انت عدت لتراني...؟» قالت بعدم تصديق.

«الم تعرفي ذلك؟ الم تشعري بذلك، كما فعلت انا، حين كنت اراقصك؟».

تذكرت ميرندا رقصتهما معاً جيداً «انا... انا لم اشعر هكذا مع أي شخص سابق من قبل...».

«ولا انا كذلك» تمتم بقوة «وصدقيني انا لم احب هذا ولا لقطرة، ليس عندما اكتشفت لماذا ترغبين بالزواج من مارك تماماً».

تنهدت ميرندا «كنت رهيبة اعرف ذلك...».

ابتسم جيم «يجب أن اوافقك الرأي، وبصدق حقيقي كنت على بعد شعرة من كرهي لك، لحين رأيتك بعد أن حاول مارك... اظن انك تعرفين ماذا اقصد».

«هل تصدق إنه... لم يلمسني؟».

«كان عليّ ذلك وإلا لكنت اصبت بالجنون».

«لكنك كنت مرعباً جداً».

«هكذا كنت انت كذلك».

«حين حصل لوالدتي الإغماء...».

«لقد اعتنيت بها اليس كذلك؟».

«بثمن».

«كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لاحميك من مخبول آخر كإبن عمي».

«لكنك تركتني! بعد هذا مباشرة».

«هل كنت سترضين بي حينها؟ لو اني طالبت بما كان من حقي؟».

ترددت ميرندا «بإمكاني النفي لكني لا اعرف، حين تلمسني...».

«كنت صغيرة جداً وكان الوقت غير مناسب، كنت ستاومينني، اردت أن تجربي الحياة التي كنت ستضحين بنفسك من أجلها، اردت أن تكبري، ثم كانت ليديا سترسلك لي...».

«ليديا سترسلني...» وتوقفت فجأة «ماذا؟».

«لقد سمعت، الم تفعلي هي ذلك؟ أخبرتني إنها قد فعلت».

شهقت ميرندا «حسناً، نعم، كانت هذه فكرتها في ان آتي انا الى هنا واسألك طلب... طلب إبطال الزواج...».

«ليس هذا ما كان ببالي تماماً، لكنه خدم الهدف على كل حال».

صرخت بعجز «انت حقاً متوحش، الست كذلك؟».

«لكنك تحبينني».

«آه، نعم» قالت وجذبت وجهها اليه وللحظات غرقا في بحر الغرام

قبل ان تبتعد قليلاً عنه «لكنك... لكنك قلت البارحة انك كنت مستعداً لاعطائي حريتي».

«اردت التأكد من انك تريدين البقاء ولهذا فقد قامرت...».

«بخطورة كما بدا» اكملت.

«تماماً» وافقها وصوته يثقل «والآن...».

كان الوقت متأخراً حين استيقظت ميرندا صباح اليوم التالي وقبل ان تتذكر رسالة العمة ليديا كانت قد استحمت وكانت تجلس تسرح شعرها حين رأت طرف المغلف داخل جيبة بنطالها فأسرعت اليه وجلست، جيم كان قد ذهب ليساعد فاسكو بامور المأتم فترددت ميرندا قليلاً قبل ان تفتح الرسالة وتقرأها.

عزيزتي ميرندا، اتوقع انه بالوقت التي تصل رسالتي هذه لك سيكون جيم قد اخبرك لماذا اقترحت عليك الذهاب الى البرازيل لتريه بنفسك، لكن في حال انه لم يفعل فسأشرح لك انا الوضع. كنا نعرف مارك وأنا ان جيم كان منجذب لك، كان قد كتب واعترف بهذا، لكنه كان ينتظر انتهائه من فترة التمرين قبل ان يعود الى انكلترا ليراك، لسوء الحظ مارك كان دائماً شديد الغيرة من ابن عمه وحين رآك ارادك لنفسه وحصل ما تعرفينه، كنت تعرفين انني لم اكن اوافق على علاقتك بمارك فهذا ليس سراً، وكتبت واخبرت جيم بما يحصل، بعد هذا كل ما كان يهم هو ان مارك قد توفي وكنت اعتمد على سخاء ورحمة جيم كان هو دائماً صبياً كريماً، لكنه كان يعرف انني مستعدة للقيام بأي شيء مقابل بقائي في القصر، كنا آسفين جداً حين حصل الفالج لوالدتك لكن جيم رأى بهذا فرصته وكما تعلمين فقد استغل الوضع واستغلني انا ايضاً ولكني لم اوافق الا لاني كنت متأكدة من حبه الكبير لك.

على كل حال اريدك ان تعرفي ان زوجك هو رجل رائع فيما بول كورتني بكل أسف، يشبه مارك كثيراً وهذان لم يكونا ليسعداك، هناك حيوان صغير في جنوب اميركا يسمى العقرب، لا شك انك قد سمعت عنه، فسمعته مشهورة بكونه شخصية غير محببة لكن احب ان افكر ان لا شيء اكثر سواداً من رسمه، عاداته الجنسية غير عادية وتحير العلماء، فالذكر والانثى يتشابكان، بما يسميه العلماء رقصة مشتركة والتي تتضمن الكثير من الحيل والاقناع، معتبرين الخطر الذي يحمله كل منهما للآخر، اعتقد انهما اكثر من شجعان للخوض في هذه الرقصة، لكن لا شيء يستحق الوصول اليه يأتي بسهولة، ربما ستتذكرين هذا حين يكون عليك الاختيار بين بول وجيم.

المحبة ليديا ساندرز.

اعطت ميرندا الرسالة لجيم حين عاد في المساء ليقرأها بعد ان استحم فأحكم حزام روبه ثم جلس على السرير وقرأها فيما هي كانت تجلس بجانبه وتراقبه.

ثم رفع نظره تعبير مرح داخل عينيه «حسن... حسن» قال «ليس علي التساؤل من منا تعتبره العقرب كورتني أم انا...».

«لماذا تظن انها قد ارسلت الرسالة؟».

«وما هو ظنك انت؟» سألها وهو يعيدها الى المغلف.

هزت ميرندا كتفيها «ارادت التأكد من انني اعرف حقيقة الزوج الرائع الذي هو انت».

تنحنح جيم ووصل اليها واحاطها بذراعيه «هل انت تعتقدين ذلك حقاً؟».

«انا متأكدة من ذلك» قالت واخذت تداعب ذقنه بأصابعها.

«كلا اقصد الجزء الذي تقول ليديا انها تتمنى لنا السعادة؟».

«ماذا تقصد؟» سألت ميرندا بتقطيب.

«هل علي اخبارك؟».

«من الافضل لك».

«حسناً الامر هكذا» تمتم «كنت قد اخبرت ليديا انها اذا سمحت لاي رجل بوضع يده عليك فسأطردها من القصر بسرعة لا تستطيع بها ان تضع قدمها على الارض ولا بد انني حين اتصلت بها من ريو بعد اعتقادي باختفائك قد ابتلعت علبة كاملة من المهدئات لتشفى من التهديد الذي كنت اهددها به حين اعترفت لي بوجود رجل آخر».

«جيم».

حدقت ميرندا برأسه المنخفض دون ان تشعر كلياً بيديه داخل ثوبها والتي كانت تشدها اليه.

«همم» قال بتمتمة «رائحتك لذيذة، هل استطيع ان تناولك انت عوضاً عن العشاء؟ لماذا بحق الجحيم تحب والدتي ان تجمع العائلة حول مائدة العشاء؟».

«جيم» قالت ثانية بأقل حزم الآن لان مشاعرها اخذت تخونها واخذته الشفقة عليها.

حسناً ونظر اليها عبر رموشه «دعيني ارى هي كانت تريد ان تعطيك الوقت لكي تعتني بك، لكن دون ان تدعك تتورطين بعلاقات وارتباطات جدية، صح؟».

«و... وادركت انني اذا رجعت مع بول...».

«بالضبط» قال «فقد طلبت منها ان تحضرك الى هنا وسأتكفل انا بالباقي».

«آه انت...» وحدقت به بتقطيبة مرحة واختفى مرحه حالما سحبها اليه نحو السرير.

«اتريدين ان تغيري رأيك؟» سألها وهو يخلع روبه لكن ميرندا لم تتعب نفسها بإجابته بالكلمات. . .

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة